لبنان الديمقراطي العربي العلماني

(٦)

الإيديولوجية الطائفية
و
النظرة إلى التاريخ اللبناني



الديمقراطيون العلمانيون


umam
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

لبنان الديمقراطي العربي العلماني

(٦)

الإيديولوجية الطائفية
و
النظرة إلى التاريخ اللبناني



الديمقراطيون العلمانيون


umam
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

صدر ضمن هذه السلسلة :

١ ــ ظواهر الايديولوجيات المتخلفة في الوضع العربي الراهن.
٢ ــ مقدمات اولية حول مقولة التعددية الحضارية .
٣ ــ مقدمات اولية حول مقولة الطائفة ــ الطبقة .
٤ ــ العلمانية في أوروبا تاريخيا وحاليا .
٥ ــ العلمانية ومسألة بناء الوطن .
٦ ــ الايديولوجية الطائفية والنظرة الى التاريخ اللبناني .

يصدر تباعــا :

٧ ــ التجربة التاريخية التركية .
٨ ــ العلاقات بين الطوائف والطبقات في لبنان .
٩ ــ القومية والديمقراطية في العالم العربي .





umam
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

تمهيد

ان المتتبع للانتاج الفكري ، في لبنان ، خلال السنوات الاخيرة ، يلاحظ كثافة ملموسة في الانتاج التاريخي . وهذا امر ليس بغريب ، ففترات الحروب ، لا سيما الداخلية منها ، تشكل حافزا أساسيا للاهتمام بالتاريخ تأليفا وقراءة . ذلك ان الكتابة التاريخية — والى حد ما المطالعة التاريخية — ترتبط بمسار الصراع الذي يعيشه المجتمع في مثل هذه الظروف .

ولما كنا معنيين بالبعد السلمي للصراع الدائر في وطننا ،
وانطلاقا من خطورة الدعوات التي اخذت تتلبس «الحقائق التاريخية الماضية» — على حد تعبيرها — للوصول الى تحقيق اهدافها وأستراتيجياتها ، بالنسبة الى واقع الوطن ومستقبله ،

والتزاما منا بالمنهج العلمي والعقلاني الذي يسعى ، في بعده السياسي ، الى ترسيخ المجتمع والدولة في لبنان على اسس الديمقراطية المتكاملة المضامين والعلمانية الشاملة ، ويجهد ، في بعده الاكاديمي ، الى المساهمة في نقل كتابة التاريخ الى آفاق العلم والموضوعية ،

وجدنا من الضروري معالجة موضوع « الايديولوجيا الطائفية والنظرة الى التاريخ اللبناني » . وفي هذا السياق سنركز على النقطتين التاليتين :

ا — الايديولوجيا وتأثيرها في الكتابة التاريخية .

ب — تجليات الايديولوجية الطائفية (المارونية والسنية)

في مؤلف الاب بطرس ضو « تاريخ الموارنــة » ــ بشكل رئيسي ، ومؤلــف الدكتور وجيــه كوثراني « الاتجاهــات الاجتماعية ــ السياسية في جبل لبـــنان والمشرق العربي ١٨٦٠ ــ ١٩٢٠ » .

بيد أن من الواجب علينا ان نورد **بعض الملاحظات** التي نعتبرها أساسية :

١ ــ لا بد من الاقرار بأن كلا من الاب ضو والدكتـــور كوثراني قد بذل جهدا بحثا واضحا علينا ان نشير اليه ـــ، وبالتالي ان نبدي تقديرنا له .

٢ ــ ان انتقاءنا لهما لا يعني عدم وجـــود العدد الكبير غيرهما من المشتغلين في التاريخ ــ ومن مختلف الطوائف ــ والمتأثرين بالايديولوجيا الطائفية .

٣ ــ ان تأثير الايديولوجيا الطائفية على المؤلف التاريخي لا تأتي دائما ــ وبالضرورة ــ نتيجة تخطيط ارادي مسبق . فالحقيقة الراهنة ان الثقافة الطائفية السائدة تترك بصماتها الواضحة في لاوعي المؤرخ ، ومن الممكن ، بعمل ارادي واع ، تخطيها واعتماد المنهجية العلمية الصحيحة .

٤ ــ ان المرحلة الحاضرة تتطلب قيام جهد تاريخي جماعي منظم ومدروس يسعى الى اعادة النظر في كتابة تاريخ لبنان وبيئته العربية . ولعل في قيام الجمعية التاريخية اللبنانية ، التي يمكن ان تضم مؤرخين من مختلف المواقع الفكريـــة والسياسية ويجمعهم الالتزام بالعلم والتصدي للايديولوجيا الطائفية ، خير سبيل للوصول الى هذا الهدف .

عصام خليفة

القسم الاول

الايديولوجيا الطائفية والبحث التاريخي




umam
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

ان **تحديد الايديولوجيا** هو موضوع بالغ التعقيد والتشعب. ولكن، حسبنا، في حدود هذه الدراسة، ان نورد تحديدا نراه الاكثر دقة: « الايديولوجية هي نظام من افكار اجتماعية، يرتبط بمصلحة جماعة معينة، ويشكل اساسا لتحديد او تبرير فاعليتها الاجتماعية، في مرحلة تاريخية معينة » (١).

اما اهم **خصائص الايديولوجيا الطائفية** فيمكن اختصارها بالنقاط التالية:

— انها تتمحور حول مصلحة الطائفة او ما تتوهم انه مصلحتها.

— انها ايديولوجية دفاعية هجومية في آن: دفاعية من حيث انها تسعى للدفاع عن واقع الطائفة وعن اهدافها، كما تسعى الى تبرير السلوك الفردي والجماعي لابناء الطائفة، وترد الاتهامات الموجهة اليها. وهجومية اذ تحاول دائما ان تستجلي مكامن الضعف عند الخصم — والخصم يكون في العادة طائفة اخرى او جماعة اجتماعية خارجة على منطلق الانتظام الطائفي — وتنزل بهذا الخصم ما في وسعها من التهشيم القائم على الكره الشديد.

— انها لا تقوم على المرتكزات العقلانية، بل، على

---

١ — ناصيف نصار، طريق الاستقلال الفلسفي، دار الطليعة ١٩٧٥، ص ٥٢.

العكس ، تقوم على الافكار المسبقة والتعصب المغلق ، انها سبب للتعصب ونتيجة له .

ـ انها ذات طابع عنصري على نحو ما . فكل ابناء الطائفة ، من حيث المبدأ ، في نظرها ، متفوقون على الاخرين . الانسان ، في منطقها ، ليس محترما كانسان ولا يحق له ان يكون حرا اذا ما تصورت ان حريته تهدد مصلحة الطائفة .

ـ انها قمعية تصل بها انغلاقيتها الى حد التصفية الجسدية للاخر ، أكان هذا الاخر من طائفة أخرى أم كان من « الخوارج » على منطق الطائفة .

والايديولوجية الطائفية هي ايديولوجية لا وطنية . فهي ان تكلمت عن الوطن أو دافعت عنه فانما تتكلم عن وطن الطائفة ودفاعها يكون عن ارض الطائفة .

وهي تكرس التراتبية في الطائفة فهناك ابناء « المشايخ » و « الاعيان » وهناك « البطريرك » « والمفتي » ، فما على الناس العاديين سوى الانتظام وراء « وجوه الطائفة » .

والايديولوجية الطائفية ، الى ذلك ، تحاول دائما ان تكرس هيمنتها على كافة مؤسسات المجتمع ، خاصة العائلة والمدرسة والنظام السياسي ، كما انها تستعين بعلوم مساعدة لترسيخ جذورها ، ومنها وسائل الاعلام والعلوم الانسانية وبخاصة التاريخ .

فما هو دور الايديولوجية في توجيه البحث التاريخي ؟

البحث التاريخي في أحداث الماضي ، من وجهة الفكر الايديولوجي ، هو أمر بالغ الاهمية ، باعتبار ان الجماعة

الطائفية توظفه لترسيخ كيانها وتحقيق غاياتها ، انها لا تتوسله من اجل المعرفة العلمية المجردة ، بل انها تحدب عليه بقدر ما يخدم مصالحها ويقوي شوكتها .

التوجيه الايديولوجي ، في مجالَ البحث التاريخي ، يؤدي، بالضرورة ، الى الموضوعية المجزوءة ، بل الى الانحياز والشطط . فالحاضر ، في هذه الحالة ، هو الذي يوجه الماضي ، وهو الذي يتحكم بمساره . ويظهر هذا التحكم في عمليات الاسقاط والتبرير والتقييم .

فالايديولوجية الطائفية تتلاعب بمعطيات المكان والزمان ، وتربط الماضي بالحاضر ، وتجمد ، في بعض الاحيان ، الاحداث التاريخية ، وتنظر الى التاريخ نظرة سكونية ومثالية جامدة . وهي ، اذ تنطلق من نتيجة رسمتها سلفا ، تسعى ، تحت ستار العلم والتجرد ، الى انتقاء وقائع واحداث ومواقف تصب في خدمة الطائفة وما تتخذه هذه الطائفة في الظرف الراهن من مواقف واتجاهات .

وعلى مستوى آخر ، الاحداث التاريخية ، تحت وطأة التأثير الايديولوجي ، لا تبقى أحداثا هامشية ، سكونية حيادية . « انها — كما يقول الدكتور ناصيف نصار — احداث تتكلم ، تخاطب الحاضر ، تؤيد او تعارض ، تساعد او تعرقل، تستثير الاستحسان والحماس أو الكراهية والنفور ، تدخل في عداد الامجاد التي يمكن المفاخرة بها او في عداد الاحداث التي يؤسف لها . انها تحمل مؤشرات وعلامات تدل على قيمتها بالنسبة الى الحاضر وتفصح عن معناها بالنسبة الى المجرى الحالي للتاريخ » (٢) .

---

٢ — ناصيف نصار ، مقالة في النظرة الايديولوجية الى التاريخ ، مجلة « الباحث » — باريس ، العدد ٧ ، تموز آب ١٩٧٩ ، ص ٢٢ .

النظرة الايديولوجية الطائفية الى التاريخ تسعى ، من خلال استقراء وقائع الماضي واستعراضها ، لا الى المعرفة المجردة ، ولكن في سبيل التوكيد على مصلحة الطائفة وتعزيز ايمانها بحقها في السيطرة والتفوق ، بل في سبيل تعميق ثقتها بهويتها المميزة وقدرتها على مجابهة كافة التحديات المطروحة من قبل القوى الاخرى المهددة لكيانها .

بينما يسعى العلم التاريخي الموضوعي الى الوصول الى المعرفة والحقيقة بحد ذاتها . والموضوعية هي ، في هذه الحالة ، اعتبار نسبي ، ومن هذه الناحية يفترق علم التاريخ — الذي هو علم انساني — عن العلوم الوضعية الاخرى كالرياضيات والكيمياء والعلوم الطبيعية .

ولما كانت الايديولوجية الطائفية تستمد جذورها من بنية الفكر الديني التعصبي ، ولما كانت الايديولوجيا الدينية بمظهرها الاكثر انغلاقا هي السائدة في القرون الوسطى — على مستوى المجتمع وعلى مستوى الدولة ، فمن الطبيعي أن يكون الانتاج الفكري عامة ، بما فيه الكتابة التاريخية ، ذا صفة دينية وطائفية .

من هنا ، **التاريخ الطائفي في لبنان** ليس ظاهرة معاصرة ، فهو يعود الى القرن الخامس عشر ، وبالذات الى الاسقف الماروني ابن القلاعي اللحفدي ، الذي كتب الكثير من الاشعار الزجلية التي تتغنى بتاريخ الطائفة المارونية ، وبعلاقاتها بالكرسي الرسولي ، وبتمجيد مآثر شجعانها . وتبعه في القرن السابع عشر البطريرك اسطفان الدويهي في كتابيه : « تاريخ الازمنة » و « تاريخ الطائفة المارونية » ، وقد اصبح الدويهي مدرسة في التاريخ الطائفي سيقتدي بها الكثيرون من المؤرخين فيما بعد .

وفي موازاة المدرسة المارونية في التاريخ – اذا صح التعبير – برزت مدرسة درزية تمثلت في كتابات صالح بن يحيى (توفي في لواسط القرن الخامس عشر) ، وابن سباط (توفي عام ١٥٢٣) (٣) .

وما هو جدير بالملاحظة ان هناك تطورا واضحا : فمن تأريخ ديني متزمت مع ابن القلاعي – الذي كتب زجلياته في عهد المماليك – الى تاريخ ديني مرن مع البطريرك الدويهي منفتح على باقي الطوائف . والاخير كتب تاريخه في فترة خروج الموارنة من عزلتهم في شمال لبنان ، وانتشارهم في كسروان والمتن ، ومشاركتهم السياسية في عهد فخر الدين.

ومع طنوس الشدياق ، في « تاريخ الاعيان في جبل لبنان » ، اتجاه الى التاريخ « العلماني » على حساب التاريخ الاكليركي السابق . علما ان كتابات ابن سباط وصالح بن يحيى تدور على عائلات الاعيان واوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية اكثر مما تدور على الشأن الديني .

وفي موازاة النشاط التاريخي المبكر عند الدروز والموارنة ، فقد قامت ، عند الطوائف الاخرى في لبنان ، محاولات لكتابة التاريخ الطائفي والوطني . ويمكن في هذا المجال ايراد عشرات الاسماء من كل طائفة (٤) برزوا في هذا المجال . كما

---

٣ – كمال الصليبي ، منطلق تاريخ لبنان ، منشورات كاراڤان ١٩٧٩ ، توزيع مكتبة راس بيروت ، ص ١٩ و ٢٠ و ٢١ .

٤ – راجع : مسعود ضاهر « الطائفية والمنهج في دراسة تاريخ لبنان الحديث والمعاصر ، مجلة « الفكر العربي » ، معهد الانماء العربي – بيروت ، عدد ٢ ، تموز آب ١٩٧٨ ، ص ٧٠ – ١٠٣ .

يجدر بنا ان نشير الى اهمية الكتابات التاريخية للعديد من الباحثين الاجانب ، وخاصة الفرنسيين ، الذين اثروا ولا شك على مسار الكتابة التاريخية في بلادنا .

وما يهمنا اخيرا ان نقوله في هذا المجال :

١ ــ ان الكتابات التاريخية اتخذت في اغلبيتها الطابع الطائفي لان الايديولوجيا السائدة في المجتمع هي ايديولوجيا طائفية .

٢ ــ لسنا في وارد الزعم ان كل الذين كتبوا تواريخ الطوائف انما كانوا يهدفون الى التحريض الطائفي ، او اننا ندين كل ما قاموا به من جهد .

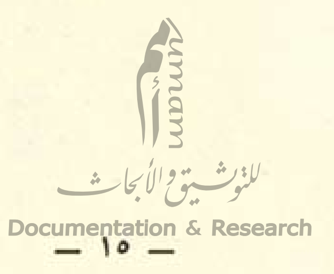
٣ ــ بل اننا نقول ان على كل كتابة تاريخية علمية عن تاريخ لبنان ان لا تتجاهل البنية الاجتماعية الطائفية وآلية تطورها ، وان لا تغرق في النظر الى تطور المجتمع اللبناني من منظار الصراع الطبقي فحسب .

٤ ــ اننا نسجل قصور الاحزاب والقوى الماركسية باعتبار انها لم تول التأليف التاريخي الاهمية اللازمة الا في الفترة المتأخرة جدا .



القسم الثاني

تجليـات الايديولوجيا الطائفية في مؤلفي الاب بطرس ضو والدكتور وجيه كوثراني




umam
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

الفصل الاول

الاب بطرس ضو وموسوعته عن تاريـخ الموارنة

منذ ١٩٧٠ اصدر الاب بطرس ضو سلسلة من الكتب (بلغت حتى الان خمسة) بعنوان « تاريخ الموارنة الديني والسياسي والحضاري » . ولم يعرض في أي من الاجزاء بشكل مفصل المنهج الذي اعتمده ، اللهم الا اذا اعتبرنا مقدمة الكتاب الاول (١) عرضا لمنهجيته في صفحتين ، وابرز ما جاء فيهما : « توخينا الواقعية في سرد الاحداث وايراد الوثائق والنصوص ، واضعين نصب أعيننا الحقيقة المجردة ، ساعين الى النظر الى الموضوع من كافة نواحيه وزواياه ، شاملين بالبحث مختلف عناصر القضية ، عاملين على ابراز جوهر القوة المسيّرة للتاريخ الماروني » . هذا ولم يفسر عدم تطرقه للتاريخ الاجتماعي والاقتصادي للموارنة ، كما انه لم يحاول ان يفسر اسباب كتابته لتاريخ طائفة واحدة من طوائف الوطن اللبناني .

---

١ ــ بطرس ضو ، تاريخ الموارنة الديني والسياسي والحضاري ، من مار مارون الى مار يوحنا مارون ٣٢٥ ــ ٧٠٠ م. ، دار النهار للنشر ١٩٧٠ ، الجزء الاول ، ص ١٢ ــ ١٣ .

الكتاب الاول مخصص لدراسة نشأة مار مارون (عصره وحياته وتلامذته والدير الذي عاش فيه ، ثم المارونية في مرحلتها الاولى (٤٠٠ م حتى ٧٠٠ م) وعلاقة الموارنة بالمردة، واخيرا نشأة البطريركية المارونية .

والكتاب الثاني مخصص لدراسة الكنائس المارونية القديمة في سوريا ، من مار مارون الى القرن السابع . اما الكنائس المارونية في لبنان ، من القرن السابع حتى ايامنا هذه ، فقد وعد المؤلف بأن تكون موضوع الجزء الثالث (٢) .

وفي عام ١٩٧٦ ظهر الكتاب الثالث وهو بعنوان « الوجه العسكري الماروني » ، يعالج في قسمه الاول الوجه العسكري عند اجداد الموارنة (الفينيقيين والاراميين والكنعانيين والمردة) ، ثم يتطرق في الاقسام اللاحقة الى الوجه العسكري الماروني من عام ٦٣٦ الى ١٣٦٧ (٣) .

وفي الكتاب الرابع الذي صدر عام ١٩٧٧ يعالج الاوضاع السياسية والعسكرية من عام ١٣٦٦ حتى عام ١٨٤٠ (٤).

---

٢ ــ بطرس ضو ، تاريخ الموارنة الديني والسياسي والحضاري ، الكنائس المارونية القديمة في سوريا من مار مارون الى القرن السابع ، دار النهار للنشر ١٩٧٢ ، الجزء الثاني ، ص ١٢ .

٣ ــ بطرس ضو ، تاريخ الموارنة الديني والسياسي والحضاري ، الوجه العسكري الماروني من ٦٣٦ الى ١٣٦٧ م ، أو عهد المردة والاستقلال الماروني التام ، مطابع السقيم ١٩٧٦ ، الجزء الثالث .

٤ ــ بطرس ضو ، تاريخ الموارنة الديني والسياسي والحضاري ، الالوحل العسكري الماروني من ١٣٦٧ الى ١٨٤٠ ، المطبعة البولسية ــ جونيه ، ١٩٧٧ ، الجزء الرابع .

والكتاب الخامس صدر منذ أسابيع وهو يتناول دور المرأة في الكفاح الماروني عبر الاجيال (٥) .

ولقد اطلعنا على محاضرة ألقاها الاب ضو في بعبدا بتاريخ ٨ شباط ١٩٧٧ بمناسبة عيد مار مارون ، وهي بعنـــوان « موارنة الغد على ضوء تاريخهم » ، وسوف نعتمد عليها ايضا في تبيان الخلفية التي تسيرُ تحليله .

في مناقشتنا لانتاج الاب ضو سنتوقف عند سؤالين فقط :

الاول : ما هي المرتكزات التي تصب في خدمة الايديولوجيا الطائفية والتي يمكننا استشفافها من مؤلفاته ؟

الثاني : كيف اثرت الايديولوجيــا الطائفيــة على الاب ضو كمؤرخ ؟

* * *

— I —

ما هي المرتكزات التي تصب في خدمة الايديولوجيا الطائفية والتي يمكن استشفافها من مؤلفات الاب ضو ؟

أولا — الموقف من العرب والعروبة :

يقف الاب ضو موقفا حازما في عدائه للعروبة ، فهي التنين الشرس وهي البداوة وهي الصحراء وهي الخراب ولا مجال معها لحل وسط :

---

٥ — بطرس ضو ، تاريخ الموارنــة الديني والسياسي والحضاري ، الوجه العسكري الماروني ، دور المرأة في الكفاح الماروني عبر الاجيــال ، ١٩٧٩ ، الجزء الخامس .

« ايها اللبنانيات واللبنانيون نحن من الامة اللبنانية العظيمة التي اعتبر العالم فتاتها زهرة الحكمة الالهية وعبدوها شعاعا منبثقا من العقل الالهي .

« ولسنا من امة تقول «المراة شر كلها » .

« ما فلسفة الشؤم هذه ؟ كيف نلتصق بأمة هذه عقيدتها ؟

« انبذوا آلشر الدخيل وتمسكوا باصلكم السامي وارفعوا بقوة مشعل رسالتكم وانيروا العالم من جديد . بددوا ظلمات الصحراء وحولوا قحطها الى ازدهار حضاري ...

« يا بني لبنان ، كونوا لبنانيين لا عربا ،

ارذلوا همجية الصحراء ، احذروا ان تمسكم بظلماتها ، مزقوا ليلها بسهام نوركم ، تغلبوا على طغيانها بقوة عقلكم العظيم ، اخصبوا جاهليتها بحضارتكم ، لقحوا وثنيتها بكنوز رسالتكم » (٦) .

ويقول ايضا (٧) :

« هذا يفسر لماذا كان هؤلاء الاعراب في ايام فخر الدين ولا يزالون آلى الان مصدر قلق وازعاج وتخريب وفوضى للبلاد اللبنانية وحضارتها ... »

ويستخلص ويعطي عبرة :

« اراد الاعاريب لبنان في ميدان الخراب والجهل والفساد

---

٦ ــ بطرس ضو ، تاريخ الموارنة ... ، الجزء الخامس ، ص ١٠٢ ــ ١٠٣ .

٧ ــ بطرس ضو ، تاريخ الموارنة ... ، الجزء الرابع ، ص ٢٧٠ .

مكرًا ومفرا ، فاراده فخر الدين والموارنة للحضارة والعمران مقرا وممرا ، وبوجههم سدا منيعا مشمخرا .

« ولن يسلم لبنان ما لم يتطهر من جرثومة الفوضى والدمار وحاملي لواء البداوة والبوار » .

ثم ان العرب والعروبة مرتبطان ، في ذهن الاب ضو ، بالاسلام : « واثبتت الوقائع ، منذ ١٩٤٣ الى الان ، ان العروبة ليست افضل من العثمانية على الاطلاق . بالواقع ان الدولة العربية الراشدية ، فالاموية ، فالعباسية ، والدولة الايوبية ، والدولة المملوكية ، والدولة العثمانية ، ومجموعة الدول العربية حاليا ، هي كلها اشكال متنوعة ومتعاقبة لجوهر واحد هو الحكم الاسلامي » (٨) .

ثم يؤكد : « العروبة تعني لا نظريا ولكن واقعيا الاسلام »(٩) .

والعرب يعودون — في رأيه — الى مرحلة ما قبل التاريخ خاصة عندما تثور فيهم غريزة البداوة : « فعندما تثور غريزة البداوة عند هذه الجماعة تتبدد الغشاوة ويتضح جوهر هؤلاء الناس ويظهرون على حقيقتهم بشرا لا يزالون في المرحلة السابقة لظهور الانسان العاقل ، التي مر فيها البشر قبل بلوغهم الرشد العقلي منذ نحو مليون ونصف من السنين» (١٠) .

ثانيا — الموارنة من اصل غير عربي :

على الرغم من ان العلوم الحديثة تحجم عن الجزم في اية حقيقة تتصل باصل اي شعب من الشعوب ، وبالتالي يسود

---

٨ — بطرس ضو ، موارنة الغد على ضوء تاريخهم ، ص ١١ و١٢ .

٩ — المصدر نفسه ، ص ١٤ .

١٠ — بطرس ضو ، تاريخ الموارنة ، الجزء الرابع ، ص ٥٧١ .

اعتقاد بأن ثمة تمازجا بين الاعراق والاصول الاثنية بحيث لا يمكن معه الجزم واعطاء الوقائع النهائية (١١) ، على الرغم من ذلك فان الاب ضو يؤكد ان « الشعب الماروني هو الشعب اللبناني الفينيقي الذي استوطن لبنان جبلا وسهلا وساحلا منذ آلاف وعشرات آلاف السنين قبل المسيح » ، « والموارنة اسم اطلق على الشعب اللبناني الفينيقي لاتباعه تلامذة مار مارون وتمذهبه بمذهبهم (١٢) .

ولكنه يعود ، بعد صفحتين من هذا الحكم المانع القاطع ، فيناقض نفسه ويقول : « ومن أبرز منجزات الرسالة المارونية منذ الفتح العربي مورنة عشائر واسر عديدة عربية وغير عربية . واشهر هذه الاسر التي تمورنت اسرة الامراء الشهابيين واسرة الامراء اللمعيين » (١٣) . « ومن الذين تنصروا آل حرفوش الشيعيو الاصل وآل الهاشم في العاقورا وغيرهم» (١٤) . وفي ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦، حول اصل اهل تنورين، يورد الاب ضو وثيقة تشير الى « ان جد اهالي تنورين هو بغدادي انتقل من بغداد الى حلب ، ورحل احفاده الى الشام ثم الى لبنان . فعيال تنورين مرجعها الى اصل واحد » (١٥) .

ثالثا ـ العداء للاسلام :

لا شك ان الايديولوجية الموجهة للاب ضو ، في كتابته

---

١١ ـ العرقية ازاء العلم ، الاونسكو ، دار الثقافة ، بدون تاريخ ، ص ٢٣ .

١٢ ـ بطرس ضو ، تاريخ الموارنة ... ، الجزء الخامس ، ص ٢٨٠ .

١٣ ـ المصدر نفسه ، ص ٢٨٣ .

١٤ ـ المصدر نفسه ، ص ٢٨٤ .

١٥ ـ المصدر نفسه ، ص ٣٢٦ .

التاريخية ، هي ايديولوجية دينية تعصبية ولا شك ان الظروف السياسية التي اكتنفت الوضع النفسي للمؤلف املت عليه الحدة في عرض العلاقات التاريخية التي قامت بين المسلمين والموارنة منذ الامويين حتى اليوم .

ويحاول الاب ضو دائما ، في عرضه للاحداث التاريخية ، ان لا يفصل بين الدين الاسلامي وعقائده وبين ممارسات بعض المسلمين في الفترة التي يدرسها ، خاصة فترة المماليك . ثم لا يحاول ان يرى الترابط بين موقف المسيحيين عامة والموارنة خاصة من الصليبيين (اي التنسيق العسكري والسياسي الذي تام بينهم) وردة الفعل الاسلامية الاضطهادية (١٦) .

ومن ناحية اخرى ، يشدد الاب ضو على الشروط العمرية وعلى مفهوم اهل الملة واهل الذمة في الاسلام ، محاولا ان يقيم الاسلام من خلال المفاهيم المعاصرة في الحرية والديمقراطية :

« الاسلام يميز بين المسلم والذمي على الصعيد السياسي والمدني والاجتماعي . والذمي لا حق له في الحياة اصلا ولكن يسمح له بالاحتفاظ بالحياة لقاء الجزية . والحقوق التي تقرها شرعة حقوق الانسان وكل الدساتير الحديثة لا يقرها الشرع الاسلامي للذمي كما هو معروف وخاصة حرية الضمير والعبادة وغير ذلك مما يطول شرحه .

« وهذا التمييز بين المسلم والذمي او المؤمن والكافر مع ما يتبعه من الطبقية والحرمان الذي اشرنا اليه بالنسبة الى الذمي نابع لا من انظمة وقوانين بشرية المصدر يمكن اصلاحها وتعديلها ولكن من نصوص قرآنية لها قدسية الوحي بنظر المسلمين ولا

---

١٦ ــ بطرس ضو ، تاريخ الموارنة ، الجزء الرابع ، ص ٦٩ ــ ٧٨ .

يجوز مسها باي شكل من الاشكال . هـذا التشريع ، الالهي الاصل حسب اعتقادهم ، ادى على ممر الاجيال الى تصفيـة المسيحيين في البلدان التي تغلب عليها العرب والدول الاسلامية كسوريا وآسيا الصغرى والعراق ومصر وافريقيا الشماليـة وغيرها . ومن ضمن خطط شطر كبير من العرب والمسلمين في الوقت الحـاضر تصفيـة المسيحيين في لبنـان وخاصـة الموارنة » (١٧) .

رابعا — الموارنة امة ولبنان وطن قومي ماروني :

يعتبـر الاب ضو ان الموارنة يشكلون امة وان « الامـة المارونية » امة عريقة الجذور في التاريخ ، انها امة مناضلة ، تحمل رسالة مقدسة ، وتأبى الذل والخنوع . وفي مجال تعريفه للامة يقول (١٨) : « استكملت الامة المارونية عناصر وجودها وكيانها الذاتي وملامحها منذ النصف الثاني من الجيل السابع للميلاد ، والامة بمعناها الكامل تعني اربعة عناصر رئيسية : ارض ، وشعب ، وحضارة ، وكيان سياسي مستقل . والارض المستقر النهائي للامة المارونية هي لبنان » .

وبعد ان يستعرض الاب ضو ما مر على الموارنة من صيغ سياسية خلال الف وثلاثماية سنة من تاريخهم (فترة الوطن القومي الماروني من ٦٧٨ حتى ١٣٦٧ — فترة الفدرالية من عهد الامارتين المعنية والشهابية حتى ١٨٤٠ — فترة التقسيم في عهد القائمقاميتين من ١٨٤١ حتى ١٨٦٠ — لبنـان المصغر من ١٨٦٠ حتى ١٩١٨ — صيغة التعايش المرتكزة على ميثاق

---

١٧ — بطرس ضو ، موارنة الغد على ضوء تاريخهم ، ص ١٤ .

١٨ — بطرس ضو ، تاريخ الموارنة ، الجزء الاول ، ص ٣٨٩ .

١٩٤٣) (١٩) ، يخرج باستنتاج اساسي : « من المقابلة بين مختلف العهود التي اختبرها الموارنة طوال ١٣٠٠ سنة يتضح ان عهد الوطن القومي الماروني المستقل عن الدول الاسلامية عربية كانت أم غير عربية هو العهد الذهبي الامثل » (٢٠) . ومن هنا «يجب ان يكون هدفنا اعادة استقلالنا التام الناجز عن الدولة الاسلامية الممثلة الان بالعروبة او المجموعة العربية » (٢١) .

ملاحظات اولية

تكاد تكون المرتكزات التي ينطلق منها الاب ضو هي ذاتها ، تقريبا ، المرتكزات التي تقوم عليها ايديولوجيا الجبهة اللبنانية واغلب باحثي الكسليك ، وهي المرتكزات التي اوصلت الجبهة اللبنانية الى رفع شعاري « التعددية الحضارية » ، و « اللامركزية السياسية » ، وما الى ذلك ... (٢٢). وحسبنا الان ايراد بعض الملاحظات الاساسية :

اولا ـ بالنسبة الى موقفه من الاسلام :

على الرغم من موافقتنا على ان ثمة تيارات دينية اسلامية متزمتة ، تفهم الاسلام دينا ودنيا ، وترفض اعادة النظر في

---

١٩ ـ بطرس ضو ، موارنة الغد على ضوء تاريخهم ، ص ٥ .

٢٠ ـ المصدر نفسه ، ص ١٢ .

٢١ ـ المصدر نفسه ، ص ١٣ .

٢٢ ـ راجع : عصام خليفة ، مقدمات اولية حول مقولة التعددية الحضارية ، سلسلة « لبنان الديمقراطي العربي العلماني » ، كراس (٢) ، منشورات « الديمقراطيون العلمانيون » .

العديد من المسلمات ، كما ترفض اعادة تفسير القرآن على ضوء حاجات الانسان المعاصر بحيث يتكيف التفسير الديني مع نوع من انواع العلمانية ، على الرغم من ذلك هناك تيارات مجددة في الفكر الديني تتقبل التوجهات العلمانية ، ومن رواد هذه التيارات : الشيخ الازهري علي عبد الرازق واخوه مصطفى ، والشيخ خالد محمد خالد ، والاستاذ محمود العنابي ، والدكتور حسن صعب ، والدكتور بشير بيلاني ، والدكتور محمد اركون ، والاستاذ سامي الشقيفي ، والاستاذ باسم الجسر ، والدكاترة محمد زهدي يكن ، وزكريا النصولي، وبهيج طبارة ، وغالب محمصاني ، ومحمد زكي النقاش ، ومحمد المغربي ، وعبد العزيز قباني ، واسامة فاخوري،وغيرهم العشرات (٢٣) بل المئات من التيارات والاشخاص والقوى المجددة .

وعلى صعيد آخر نسجل على الاب ضو عدة ملاحظات :

١ ــ خلطه بين العقيدة الدينية والناس الذين يطبقونها في فترة تاريخية معينة .

٢ ــ نظرته الى الدين الاسلامي وكأنه في تفسيره وتطبيقاته سيبقى مجمدا الى ما لا نهاية .

٣ ــ عدم الاخذ بعين الاعتبار ان الدين يتطور مع تطور المجتمعات . فالمسيحية في القرون الوسطى ، من خلال بعض تطبيقاتها ، ادت الى حروب دينية ضارية (بين الكاثوليكية

---

٢٢ ــ المرجع نفسه ص ٣٠ ــ ٣١ . ومجلة الوعي ، وثائق المؤتمر العام السابع ١٩٧٧ ، ص ٤٩ ــ ٥٢ .

والبروتستانتية) ولكنها تطورت فيما بعد مع تطور المجتمعات الغربيــة .

على كل حال ، ان التحدي ما زال مطروحا في المجتمعــات الاسلامية ، وهناك صراع مستمر بين قوى التجديد العقلانية والعلمانية من جهة وقوى السلفية والتحجر والردات المناقضة لتطور حركة التاريخ من جهة اخرى . من هنــا ، لا يمكننــا تبسيط الاحكام واطلاقها جزافا من موقع التعصب ، وما هو مأمول ان تقوم ثورة في الفكر الديني الاسلامي في موازاة الثورات السياسية والاجتماعية والثقافية ، بحيث تتمكن المجتمعــات ذات الاكثريات الاسلامية من بناء تجاربها الديمقراطية العلمانية الشعبية من ضمن خصوصياتها التراثية والذاتية ، فتكــون بذلك قد استجابت لتحديات التخلف الداخلي وقوى الهيمنــة والاستعمار الخارجية .

ثانيا ــ حول موقفه من العروبة والعرب :

يطلق الاب ضو التهم الجماعية بحق العرب ، دون الاشارة الى ان هناك عربا عقلانيين وهناك عربا تعصبيين . ثم انــه يربط العروبة بالاسلام بشكل مطلق . واذ نقر نحــن بوجود تيارات اجتماعية وفكرية وسياسية تذهب هذا المذهب ، الا ان هناك العديد من التيارات السياسية والاجتماعية والفكريــة ــ الاسلامية والمسيحية ــ التي تفصل بين العروبة والاسلام . ولا ننسى في هذا المجال دور مسيحيي لبنان ــ بل الموارنة ــ في اطلاق هذا التيار عند بدء النهضة العربية الحديثــة ، ومن رواد الدعوة العربية ، على سبيل المثال لا الحصر ، المعلم بطرس البستاني وابراهيم اليــازجي وشبلي شميل وفــرح انطون وجرجي زيدان ونجيب عازوري وامين الريحاني واسعد

داغر وخير الله خير الله وقسطنطين زريق ... (٢٤) .

وعندما يقرر الاب ضو ان الموارنة ليسوا عربا فما هي البراهين آلتي اوصلته الى هذا الاستنتاج ؟

يبدو ان الاب ضو ، من خلال عدة نصوص ، يفهم كلمة عرب بالمعنى العرقي او بمعنى البدو . فعلى هذا المستوى ، لا نعتقد ان هناك اي شعب في العالم يستطيع — على الصعيد العرقي — ان يبرهن على نقاوة عرقه او انتمائه الى اصول معينة (٢٥) .

ونخال ان الذين يذهبون الى القول بأن الطائفة المارونية والطوائف اللبنانية الاخرى تشكل جزءا من العالم العربي ، انما ينطلقون في ذلك من الواقع الحضاري والثقافي — بالمعنى الانتروبولوجي الواسع — لهذه الطوائف بالمقارنة مع خصائص البيئة الحضارية والثقافية العربية . كما ان القول بأن لبنان عربي بكل طوائفه لا يعني عدم التأكيد بوجود خصائص ذاتية ومميزات معينة تميزه مثلا عن المغرب او اليمن او العراق ، او حتى وجود بعض الخصائص الجزئية التي تميز بعض طوائفه عن بعضها الاخر .

لقد صدرت ، في السنوات الاخيرة ، دراسات اجتماعية وتاريخية ولغوية حول خصائص الثقافة اللبنانية — بمعناها الانتروبولوجي — ومدى ترابطها او تباعدها عن خصائص

---

٢٤ — راجع : عصام خليفة : مقدمات اولية حول مقولة التعددية الحضارية ، ص ٤٠ — ٥٢ .

٢٥ — راجع : العرقية ازاء العلم ، الاونسكو ، دار الثقافة ، بدون تاريخ .

الثقافة العربية . ولقد بينت مجمل هذه الدراسات تطابق التنظيم الاجتماعي القائم في لبنان ــ عند المسيحيين والمسلمين ــ مع التنظيم الاجتماعي القائم في بيئته العربية .

فالعلماء الذين درسوا الزواج عند المسيحيين الشرقيين عامة والموارنة خاصة لاحظوا مدى التشابه في العادات بين المسيحيين والمسلمين العرب (٢٦) ، وخاصة عادة الزواج بين الاقارب .

وهناك سلطة الاب التي تشير الى ان مجتمعاتنا تعتمد الابوة اساسا (٢٧) .

وهناك الانقسام العشائري الثنائي بين عرب الشمال وعرب الجنوب وهو نسق ثابت في البلدان ذات الثقافة العربية . هذا الانقسام نلاحظه بوضوح في تاريخ العائلات المارونية في العصر الوسيط ، من خلال الصراعات المستمرة بين القيسية

---

٢٦ ــ
- R. Cresswell, Parenté et propriété foncière dans la montagne libanaise (Etudes rurales), 1970, No. 40, p. 1-79.
- Dominique Chevalier, la société du Mont-Liban à l'époque de la revolution industrielle en Europe, Paris, 1971.
- Thom Sicking, Religion et développement, Etude comparative d'un village maronite et d'un village musulman-Chiite au Liban, Thèse pour le doctorat en sociologie, Paris V, 1977.

٢٧ ــ كرسويل المرجع السابق ص ٦٨ .

واليمنية (٢٨) ، وفيما بعد من خلال اليزبكية والجنبلاطية (٢٩)، ومؤخرا في فترة الانتداب كان التنافس قائما بين الكتلة الدستورية والكتلة الوطنية ، وحاليا ثمة استقطاب ثنائي للموارنة ، بشكل رئيسي ، بين الكتائب والاحرار .

ثم هناك نظام القرابة . فكرسويل يؤكد ان نظام القرابة في بقسميا (المارونية) هو نظام البدو التقليدي ، وعباراته هي العبارات المستخدمة في كل البلدان الناطقة بالعربية (٣٠) .

ثم هناك اللغة العربية ، التي اغناها اللبنانيون ، ولا سيما المسيحيون منهم ، بالشعر والصحافة والعلوم والمعاجم وكافة الوان الادب ، وهي تشكل عاملا اساسيا من عوامل الترابط الحضاري بين لبنان ومحيطه العربي .

وهناك الجوانب المادية من الحضارة ، كاللباس وهندسة البيوت ووسائل النقل . وكذلك الجوانب الاقتصادية كأدوات

---

٢٨ — البطريرك اسطفان الدويهي ، تاريخ الازمنة ، نشر فردينان توتل ، ص ٢٥٠ .

٢٩ — Touric Touma, Paysans et instituttions féodalcs chez les Druses et les Maronites du Libans du XVIIIe siècle à 1914, Publications de l'Université Libanaise, Librairie Orientale, p. 77.

كذلك راجع : الخوري منصور الحتوني ، نبذة تاريخية في المقاطعة الكسروانية ، ١٨٨٤ ، ص ١٠٧ .

H. Lammens, La Syrie, T1, Imprimerie Catholique, 1921, p. 75 et p. 132.

٣٠ — كرسويل ، المرجع السابق ، ص ٥٠ .

الزراعة والصناعة والتجارة (٣١) ، والعادات والتقاليد (٣٢). وكلها تدل على التطابق بين المسلمين والمسيحيين في لبنان وباقي البلاد العربية ، بالطبع مع بعض الخصائص الجزئية المميزة .

واذا ما تطرقنا الى ناحية الاصول العرقية للموازنة فاننا لا نعدم الحجج البينة على ان جزءا غير قليل من عائلاتهم تعود الى اصول عربية . لكن ، نود ، بادىء الامر ، ان نشير الى عدة امور نعتبرها اساسية :

١ ــ ليس هناك من شعب متحضر ، في عالم اليوم ، يستطيع ان يجزم بشكل علمي حازم في ما يتعلق بأصوله العرقية .

٢ ــ ليس هناك اي شعب من شعوب البلاد العربية يستطيع ان يزعم ان اصله العرقي ــ بشكل شامل ــ يعود حتما الى العرق العربي .

٣ ــ قلة هم الذين ينطلقون من الناحية العرقية ليؤكدوا انتماء لبنان الى محيطه العربي .

٤ ــ ان الاغلبية الساحقة من القائلين بانتماء لبنان الى العرب ينطلقون من الواقع الحضاري والثقافي ومستقبل المصير المشترك ، كما يطمحون لان يلعب لبنان دورا طليعيا في تطوير المنطقة العربية .

٥ ــ نحن نعتبر ان ثمة تيارات متصارعة في الواقع التاريخي

---

٣١ ــ عصام خليفة ، المرجع السابق ، ص ٧٦ ــ ٩٠ .

٣٢ ــ عيسى اسكندر المعلوف ، لبنان : مباحث علمية واجتماعية ، منشورات الجامعة اللبنانية ١٩٦٦ ، الجزء الاول ، ص ١٥٨ ــ ٢٠٨ .

العربي المعاصر : تيارات الحداثة والعقلانيــة والعلمانيــة والتقدم وتيارات السلفية والجهل والتبعية والتعصب . ونحن قطعا ضد التيارات الاخيرة ونعتبر ان للبنان دورا اساسيا في حمل مشعل التيارات الاولى .

٦ ــ ان بعض القائلين بعروبة لبنان يحاولون ان يلونوا هذه العربية ويربطوها برضى هذا النظام العربي او ذاك . امــا نحن ، عندما نقول بعروبة لبنان ، فانما ننطلق من مصلحة لبنان اولا ، ونعتبر ان مجمل الانظمــة السائدة والمتكلمة باســم العروبة هي انظمة تحافظ على التخلف والتبعية والاستغلال وليست النموذج المرتجى .

٧ ــ اننا نقر سلفا ان الطوائف اللبنانية بمجملها ، وليس الموارنة فقط ، هي ، على الصعيد العرقي ، نتاج تفاعل اعراق وشعوب متنوعة،ولئن طغى العنصر العربي فيها فذلك يعود الى اسباب تاريخية محددة لا مجال الان للاستفاضة بتبيانها .

٨ ــ اننا اذ نستشهد ببعض المصادر والمراجع حول اصول بعض العائلات المارونية فاننا نتحفظ حول علمية المنهج الذي اتبعه مؤلفو هذه المراجع ، ولا يمكننا الزعم ان جميع المعلومات التي سنوردها هي قطعا صائبة في كل تفاصيلها ، لكنها ، بشكل عام ، تعطي براهين ومعلومات لا يمكن انكارها او تجاهلها على نحو شامل .

لقد سبق واشرنا الى ان الاب ضو ذكر بأن آل شهاب وآل ابي اللمع (٣٣) هم من اصل عربي وقد دخلوا المارونيــة .

---

٣٢ ــ راجع ايضا : الخوري اسطفان البشعلاني ، تاريــخ بشعلي وصليما ، مطبعة فاضل وجميل [illegible] ١٩٤٨ ، ص ٢٥٧ وص ٢١ .

والحقيقة ان هناك العشرات من العائلات المارونية ، أصلها عربي وخاصة من الغساسنة . حتى ان الدكتور كمال الصليبي (٣٤) يرجح ان معظم الموارنة « كانوا ، من ناحية العرق ، من « نبط » الشام ، يقطنون المناطق الزراعية في الارياف ويعملون في الفلاحة . وكان من بينهم بعض الرعاة من أبناء العشائر في الجبال وربما كان هؤلاء من اقحاح العرب » . وقد تكلموا العربية وكتبوا بها ، على الاقل ، ابتداء من القرن التاسع . (٣٥) .

فعائلة آل الخازن تعيد أصلها الى آل غسان (٣٦) .

وآل حبيش يعودون بأصلهم الى قبيلة الهوازن ، وهي فخذ من قريش (٣٧) .

---

٣٤ ــ كمال الصليبي ، المرجع السابق ، ص ٣٤ .

٣٥ ــ المرجع نفسه ، ص ٣٩ . وكذلك الاب اغوسطين سالم القرطباوي السخني اللبناني ، تاريخ كشف النقاب عن قرطبا والانساب ، مطبعة اميل دكاش ، ١٩٦٢ الجزء الاول ، ص ١٥٣ .

راجع ايضا : المطران يوسف دربان ، البراهين الجلية ، ص ٢١٩ و ٢٢٠ .

٣٦ ــ الاب بولس مسعد وتسيب وهيبة الخازن ، الاصول التاريخية ، مطبعة عشقوت ، الجزء الثالث ، ص ٢٩٨ .

ــ يوسف عماد ، الجامعة القرتمازية وتاريخها ، ١٩٧٣ ، ص ٩٨ .

ــ فيليب حتي ، لبنان في التاريخ ، دار الثقافة ، ١٩٥٩ ، ص ٣١٢ .

٣٧ ــ خليل حبيش ، آل حبيش في التاريخ ، ١٩٧٨ ، ص ١١ .

ــ الاب اغوسطين سالم القرطباوي السخني اللبناني ، المرجع السابق .

واسرة ضو نفسها ، التي ينتسب اليها الاب بطرس ضو ، تتحدر من موسى غانم الغساني احد اتباع الملك المنذر بن النعمان (٣٨) . وقد هاجر موسى من موطنه الى قرية يانوح في بلاد جبيل ، ومنها تحدرت عدة عائلات اهمها :

— فرعي لبكي ولحود في بعبدات (٣٩) .

— وفي دير القمر أسرة نعمة (٤٠) واسرة شمعون (٤١) .

— وفي جونية أسرة نصر وابي كرم وصليبا (٤٢) .

— وفي شننعير اسرة ابي زيد واسرة ابي عازار (٤٣) .

— وفي البوار اسرة الفحل ، واسرة الترك في سنور والمرادية وسرعيتا وداريا ، واسرة الجر في يحشوش ، واسرة النصراني في غزير ، واسرة عبود واسرة خليفة في البترون (٤٤) .

---

٣٨ — الفيكنت فيليب دي طرازي ، اصدق ما كان من تاريخ لبنان وصفحة من اخبار السريان ، مطابع صيقلي ، ١٩٤٨ ، المجلد الثاني ، ص ٥ وص ٢٨ .

٣٩ — المرجع نفسه ، ص ٣٢ .

— الخوري نعمة الله الملكي البعبداتي ، تاريخ بعبدات واسرها ، مطابع نصار ، ١٩٤٧ ، ص ١٠٣ .

٤٠ — دي طرازي ، المرجع السابق ، ص ٣٢ .

٤١ — الملكي ، المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

٤٢ — دي طرازي ، المرجع السابق ، ص ٣٢ و٣٣ .

٤٣ — المرجع نفسه ، ص ٣٣ .

٤٤ — المرجع نفسه ، ص ٣٣ .

ملاحظة : يقول المؤرخ البحاثة الاب قسطنطين الباشا في كتابه : تاريخ اسرة آل فرعون ، مطبعة القديس بولس ، ١٩٣٢ : « لو تقصينا ما يحكيه =

ومن الاسر المارونية التي تعود الى اصل عربي غساني : آل وهيبة وآل غانم ، واسرة كرم في بسكنتا ، واسرة التنوري في بسكنتا ايضا ، وكذلك بنو صقر ، واسرة مراد في عرمون . واسرة شبلي (٤٥) .

والى العاقورا نزحت قبائل عربية من اليمن (٤٦) واليهـا ينتسب مالك ابن ابي الغيث وذريته ومنهم بنو ملحمة (٤٧) ، وتتفرع عنهم اسرة بيروتي ، واسرة فاخوري في بيروت وبعبدا وغزير ، واسرة ابي شلحى في جبيل ، واسرة شلق ، واسرة رزق الله في صيدا وبيروت ، وآل فاضل وآل كساب . ومن ذرية

= رواة الاخبار بالكتابة والسماع عن اصول الاسر المسيحية في سوريا ولبنان لوجدنا كثيرين منهم يرجعون بأصولهم الى حوران التي كانت عامرة بقبائل العرب المتنصرة وبالروم ... » (ص ٢١) .

٤٥ ـــ دي طرازي ، المرجع السابق ، ص ٢٤ و٢٥ و٢٦ و٢٧ .

ـــ الخورسقف يوسف داغر التنوري ، لبنان : لمحات في تاريخه وآثاره واسره ، مطبعة المرسلين اللبنانيين ، ١٩٣٨ ، ص ٢٢٥ و٥١٨ و٥١٤ .

ـــ يوسف خطار غانم ، برنامج أخوية القديس مارون ، المطبعـة الكاثوليكية ، ١٩٠٣ ، الجزء الثاني ، ص ٢٥٤ .

٤٦ ـــ الاب اغوسطين سالم القرطباوي السختي اللبناني ، المرجـع السابق ، ص ٣٢ .

ـــ مجلة « المشرق » ، آذار نيسان ١٩٥٣ ، ص ٢٠٩ ـــ ٢١١ .

٤٧ ـــ المونسنيور لويس الهاشم ، تاريخ العاقورا ، مطبعة العلم ، ١٩٧٣ ، ص ٤٥٢ .

ـــ فيليب حتي ، المرجع السابق ص ٣١٢ .

ـــ دي طرازي ، المرجع السابق ، ص ٤٣ و٤٤ .

ـــ الاب اغوسطين سالم القرطباوي السختي ، المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

مالك ابن ابي الغيث آل المعوشي في جزين (٤٨) .

والى قبيلة كندة ينسب آل العينسي اسرتهم (٤٩) . وآل السخن في قرطبا ينسبون انفسهم الى بني كعب بن قيس السخني(٥٠). وكذلك آل كرم ينتسبون الى غطفان . . . من بني عامر ، ومن آل كرم تحدرت عائلات شديد وجبر وفياض وسالم ومعوض وعبد المسيح في بيت شباب ، ومنهم أيضا بيت الخياط في زحلة ، وبيت الزحلاوي في حدث بيروت ، وبيت الشبابي في رميش ، وبيت الحاج في معلقة زحلة ، وبيت الكك في رشميا ودير القمر (٥١) . والى آل السخن ينتسب آل الصهيوني في اهدن (٥٢) . وآل شليطا في قرطبا وآل صقر وال الخوري وآل عطالله وبيت القسيس أصلهم عرب من بادية الشام (٥٣). وآل اده ينتسبون الى قبيلة بني هوازن (٥٤) ، وكذلك آل الملاط في بعبدا (٥٥) . واسرة آل الهاشم تتحدر من هاشم بن عتبة الصحابي (٥٦) .

---

٤٨ ــ دي طرازي ، المرجع السابق ، ص ٤٧ و٤٨ .
ــ لويس الهاشم ، المرجع السابق ، ص ٣٢٢ ــ ٣٢٤ .
٤٩ ــ دي طرازي ، المرجع السابق ، ص ٥١ .
ــ لويس الهاشم ، المرجع السابق ، ص ٤١٤ .
٥٠ ــ الاب اغوسطين سالم القرطباوي ، المرجع السابق ، ص ٣٣ .
٥١ ــ المرجع نفسه ، ص ٨٦ و٨٧ و٨٨ .
٥٢ ــ المرجع نفسه ، ص ٨٩ .
٥٣ ــ المرجع نفسه ، ص ١٣٢ .
٥٤ ــ المرجع نفسه ، ص ١٢٣ ــ ١٢٤ .
٥٥ ــ المرجع نفسه ، ص ١٢٤ .
٥٦ ــ لويس الهاشم ، المرجع السابق ، ص ٤٩١ و٤٩٢ .
ــ الاب اغوسطين سالم القرطباوي السخني ، المرجع السابق ، ص ١٥٢ .

ونقلا عن الشيخ ادوار سليم الدحداح ، في كتابه « سياسة لا وجدان » ، ان الدحادحة اصلهم من عرب اليمامة جاؤوا الى الماقورا وتنصروا (٥٧) .

وعائلة البستاني المنتشرة في دير القمر والدبية وجونية والكورة وضهر صفرا وغيرها تعيد نسبها الى الغساسنة (٥٨) .

واسرة آل عطالله تتحدر ايضا من غسان (٥٩) ، وكذلك آل المعلوف (٦٠) ، وآل الكريدي (٦١) ، وال الحداد (٦٢) .

كان لا بد من هذه اللمحة السريعة حول ما كتب بعض المهتمين بأصول الاسر المارونية ، وهناك عشرات بل مئات

---

٥٧ ـ لويس الهاشم ، المرجع السابق ، ص ٢٢٧ و٢٢٨ .

ـ الاب اغوسطين سالم القرطباوي السخني ، المرجع السابق، ص١٥٠.

ـ الخورسقف يوسف داغر ، المرجع السابق ، ص ٣٥٥ .

٥٨ ـ ملحم ابراهيم البستاني ، كوثر النفوس وسفر الخالدين ، مطبعة المرسلين اللبنانيين ، ١٩٥٤ ، ص ١٨١ و١٨٢ .

٥٩ ـ جامعة آل عطا لله ، بيروت ١٩٦٥ ، لا اسم للمطبعة ولا اسم للمؤلف ، ص ٦ و٧ .

٦٠ ـ الخورسقف داغر ، المرجع السابق ، ص ٣٠٣ .

ـ الاب اغوسطين سالم القرطباوي السخني ، المرجع السابق ، ص ١٥١ ، نقلا عن : « دواني القطوف لعيسى اسكندر المعلوف » .

٦١ ـ المونسنيور هاشم ، المرجع السابق ، ص ٦٧٧ .

ـ الاب اغوسطين سالم القرطباوي السخني ، المرجع السابق ، ص ١٥٢ .

٦٢ ـ الخوري اسطفان البشعلاني ، المرجع السابق ، ص ٤٥١ . وهو ينقلها عن « دواني القطوف لعيسى اسكندر المعلوف » ، وعن الخورسقف بطرس حبيقة في كتابه : « تاريخ بسكنتا واسرها » .

العائلات التي ترد نسبها الى اصل عربي ، وهناك عشرات بل مئات الكتب التي تهتم بهذا اللون من الابحاث ، ولم يتسن لنا ، حتى الان ، الاطلاع عليها كلها .

واننا ، اذ نقف بحذر ازاء العديد من هذه الكتابات ، باعتبار انها تفتقر الى المصادر الدقيقة ، فاننا نستطيع ان نقرر ، من جهة اخرى ، ان الاصول العربية هي ظاهرة ثابتة بالنسبة الى عدد غير قليل من ابرز العائلات المارونية .

فكيف يجوز بعد ذلك كله للاب ضو — وهو نفسه من اصل عربي كما ذكر دي طرازي — ان يقرر ، بشكل مطلق ، ان لا صلة بين اللبنانيين والعرب ؟!

— II —

كيف اثرت الايديولوجيا الطائفية على الاب ضو كمؤرخ ؟

اولا — استخدام الوثائق التاريخية بشكل مشوه :

ينطلق الاب ضو من فكرة مسبقة تعتبر ان المردة — وهم الموارنة في رأيه — قوم يتمتعون بكل الفضائل والخصال الحميدة . وعندما يستشهد بنص مأخوذ من تاريخ ميخائيل السوري (٦٣) يخفي من النص ما ورد من ان المردة كانوا قطاعا للطرق (٦٤) .

---

٦٣ — بطرس ضو ، تاريخ الموارنة ... ، الجزء الثالث ، ص ٢٠٠ .

٦٤ — J. B. Chabot, Michel le Syrien, Chronique de Michel le Syrien, 4 tomes, Paris, 1901 . T. II. P. 455 et 470.

ثانيا ــ ممارسة عملية الاسقاط التاريخي :

عندما يعالج الاب ضو علاقة البشيرين (شهاب وجنبلاط) في الربع الاول من القرن الماضي (٦٥) ، يورد مقاطع توحي للقارىء وكأنه يتكلم عن المرحوم جنبلاط وبلغة شبيهة بمصطلحات جرائد السنوات الاخيرة . يقول ، في ص ٥٥٩ : « عندئذ لم يبق مجال لطول الاناة . يجب ضرب المعتدين الاشرار هدامي الوطن ومخربي الامن والنظام » ، « حينئذ أمر الامير عساكره بالسير الى المختارة لضرب رأس الافعى واقتلاع الشر من جذوره » . ويضيف ، مستنكرا خطط الشيخ بشير جنبلاط لانشاء وطن درزي ، ومتناسيا ان لكل طائفة الحق في انشاء وطنها اذا سلمنا باطروحة الاوطان الطائفية التي يدعو هو اليها : « ولعل هذه الخطط والمقاصد ايضا كانت وراء الفتن التي حصلت منذ فتنة الشيخ بشير في ١٨٢٥ حتى حوادث ١٨٦٠ المشؤومة . ولعلها ايضا وراء بعض تحركات جنبلاطية في أيامنا هذه ... فالسوسة الجنبلاطية هي اصل العلة ومكمن الداء ومصدر البلاء » (٦٦) .

ثالثا ــ محاولة التشديد باستمرار على الفترة الفينيقية والتخفيف من علاقة الموارنة بالعرب :

على الرغم من ان الاب ضو يعالج تاريخ الموارنة ، فهويحاول دائما ، وفي مختلف اجزاء موسوعته ، أن يعود الى الفينيقيين . فمن ٤٠٠ صفحة في الجزء الخامس مثلا ــ وموضوعه دور المرأة في الكفاح الماروني عبر الاجيال ــ يتكلم في ١٥٠ صفحة عن

---

٦٥ ــ بطرس ضو ، تاريخ الموارنة ... ، الجزء الرابع ، ص ٥٥١ــ٥٦٦.

٦٦ ــ المصدر نفسه ، ص ٥٦٣.

آلهات الفينيقيين ، ويدخل حتى آثينا ــ الهـة اليونان ــ في عدادهن ، ولا يبرر موقفه هذا بشكل علمي مقنع . كما انه يعقد فصـلا كاملا بعنوان « العروبـة وخطرهـا على المرأة » (ص ٢٦٧ ــ ٢٧٩) .

وفي الجزء الثالث ، الذي يعطيه الاب ضو صفة عهد المردة والاستقلال الماروني التام (٦٣٦ ــ ١٣٦٧) ، والذي يتمثله كنموذج يمكن احتذاؤه بالنسبة الى موارنة الغد ، هناك العديد من الاسئلة التي يمكننا ايرادها حول صحـة هذا الزعـم . فمختلف المراجع الاساسية تشير الى ترابط تاريخ الجبـل الماروني ــ في تلك الفترة ــ بالدولـة الاسلاميـة في دمشق وبغـداد .

فالمؤرخ الثقة ، الدكتور كمال الصليبي ، يؤكد ، من موقعه الاكاديمي الرصين ، ان جبل لبنان والجزء المحـاذي له من الساحل ، من طرابلس الى صيدا ، كان مرتبطا بجند دمشق . وكذلك بلاد بعلبك ، والبقاع ، ووادي التيم . اما جبل عاملة ، من نيل الاعلى ، فاتبع مع ثغر صور بجند الاردن . وهـذا عشية قيام الفتح الاسلامي (٦٧) .

اما المطران الدبس فيقول ــ بعد تحالف المسلمين والروم ضد المردة وسكان جبل لبنان : « على ان هـذا لم يخل من نفع ، فقد حكمت التجارب الموارنة وعلمتهـم ان لا يصغوا لوساوس الاجانب ، وان يؤثروا الطاعة والانقياد للحكومـة السائدة بهم على المعاندة والمخالفة لها وعلى مرضاة أصحاب السياسة الذين لا يهمهم الا أغراضهـم ، فاذا قضوا منهـا

---

٦٧ ــ كمـال الصليبي ، المرجـع السابق ، ص ٢٣ ، و٣٥ ــ ٣٦ ، و٥١ و٧٤ .

اوطارهم احرقوا الالة نفسها التي استخدموهـا لنيـل تلك الاغراض ، اذا اقتضت ذلك مصلحتهم . فتمثل الموارنة بهذه الامثولة وكفوا عن تلك الغزوات وشن تلك الغارات ولزموا السكينـة واخلصوا في الطاعـة لسلطة الخلفـاء الامويين والعباسيين وتفرغوا لحراثة اراضيهم وتربية ماشيتهم آمنين متحصنين بلبنان . ويظهر ان حلم الخلفاء وصعوبة مسالك لبنان وتعذر احراز الثروة فيه جعلت الموارنة سكانه في مأمن من السطو عليهم والمزاحمة لهم في امتلاك اراضيه وغاباتـه فعاشوا فيه بهذا القرن (اي الثامن) وما يليه آمنين محافظين على دينهم وشأنهم . ويظهر ان الخلفاء كانوا يولون عليهم رجلا منهم أو ولاة مسيحيين » . (٦٨)

والاب لامنس يتكلم عن حملات عباسية على المنيطرة لقمع ثورتها (٦٩) في حدود عام ٦٧٠ م ، والارجح ان ذلك حصـل بسبب محاولة « الروك » الاولى التي قام بهـا المنصور ، فاحتج اهالي المنيطرة على الضرائب المفروضة على الاملاك(٧٠)، وذلك نقلا عن ابن عساكر (٧١) والبلاذري (٧٢) . وبذات المعنى

---

٦٨ ـــ المطران يوسف الدبس ، الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل، دار لحد خاطر ١٩٧٨ ، ص ٩٦ و١١٩ .

٦٩ - H. Lammens, La Syrie, Imprimerie catholique, 1921, T 1, P. 131 et 132 .

ـــ محمد علي مكي ، لبنان من الفتح العربي الى الفتح العثماني (٦٣٥ ـــ ١٥١٦) ، دار النهار للنشر ، ١٩٧٧ ، ص ٦٤ .

٧٠ ـــ كمال الصليبي ، المرجع السابق ، ص ٥٥ .

٧١ ـــ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ١٣٣٠ ـــ ١٣٣٢ هـ ، الجـزء الخامس ، ص ٣٤١ .

٧٢ ـــ البلاذري ، فتوح البلدان ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٥٩ ، ص ١٦٦ و ١٦٧ .

يشير الدكتور فيليب حتي الى دور الامام الاوزاعي في الدفاع عن مسيحيي لبنان ازاء القمع الذي تعرضوا له من عساكر العباسيين . ومن جملة ما قال الاوزاعي : « فكيف تؤخذ عامة بذنوب خاصة حتى يخرجوا من ديارهم وأموالهم وحكم الله تعالى ان لا تزر وازرة وزر أخرى ... مستشهدا بالرسول الذيقال من ظلم معاهدا وكلفه فوق طاقته فأنا حجيجه » (٧٣) .

وفي عهد الصليبيين وقف أكثرية الموارنة الى جانبهم ، ولكن قسما معينا من الموارنة وقف الى جانب اتابكة دمشق ضد فرنجة طرابلس ، وحدثت هجمات دموية بين بعض الموارنة والفرنجة (٧٤) .

وفي عهد المماليك ، بعد رحيل الصليبيين ، قسمت بلاد الشام الى ست « ممالك » تضاف اليها بعض « النيابات » . ولقد ضم لبنان الشمالي ، ابتداء من جبيل ، الى مملكة طرابلس بما في ذلك الضنية وجبة بشري والكورة وجبة المنيطرة وجبيل (٧٥) . والى مملكة دمشق ضمت بعلبك والبقاع وكسروان وبيروت والشوف وصيدا . والمنطقة من الليطاني نحو الجنوب ضمت الى مملكة صفد (٧٦) .

---

٧٣ — فيليب حتي ، لبنان في التاريخ ، دار الثقافة ، ١٩٥٩ ، ص ٢٢٧ و٢٢٨ و ٢٢٩ .

٧٤ — كمال الصليبي ، المرجع السابق ، ص ٨٩ و٩١ و٩٢ .

٧٥ — ابن فضل الله العمري ، التعريف بالمصطلح الشريف ، القاهرة ، ١٣١٢ هـ ، ص ١٨٢ .

— القلقشندي ، صبح الأعشى في كتابة الانشا ، القاهرة ، ١٩١٤ ، الجزء الرابع ، ص ٢٣٥ .

٧٦ — كمال الصليبي ، المرجع السابق ، ص ١٣١ و١٣٢ .

ان التأكيد بأن « لبنان » كان مستقلا استقلالا تاما في الفترة ما بين اواسط القرن السابع حتى أواسط القرن الرابع عشر للميلاد ، وهذا ما يسرف في ترداده الاب ضو ، يفتقر الى الاسانيد التاريخية العلمية .

لكننا نستدرك فنقول ، استنادا الى « تاريخ بيروت » لصالح بن يحيى ، ان نمط الاقطاع الذي اقر به المماليك لآل بحتر كان مغايرا لسائر انماط الاقطاع السائدة في ممالك ونيابات المماليك في بلاد الشام . وعليه ، فاننا نقر بوجود خصوصية لبعض المناطق اللبنانية ، في تلك الفترة ، نابعة من البنية السكانية ومن الموقع الجغرافي في البلاد (٧٧) .

رابعا ــ التبسيط في العوامل المؤدية الى الفتن الطائفية والحروب ، وحصر الاسباب في سلوك الخصم الطائفي :

فالفتن التي تتابعت وبلغت ذروتها في انفجار ١٨٦٠ ، كان محركها ــ في راي الاب ضو ــ « انحراف بشير جنبلاط منذ سنة ١٨١٨ عن صفاء بني معروف ووطنيتهم وتضامنهم العريق مع الموارنة الى التعصب الديني الذميم لاهداف لا لبنانية وطنية ولكن طائفية درزية واسلامية » (٧٨) .

---

٧٧ ــ صالح بن يحيى ، تاريخ بيروت ، تحقيق كمال الصليبي والاب فرنسيس هورس ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ٨٤ ــ ٧٨ وص ٨٩ ــ ٩١ . وكذلك Elias Kattar, Recherches sur la société de la montagne libanaise à l'époque des Mamelouks, Thèse pour le doctorat de 3e cycle, Paris 1977, P. 211, 212, 213, 214, et p. 233.

٧٨ ــ بطرس ضو ، تاريخ الموارنة ، الجزء الرابع ، ص ٥٦٥ .

وكذلك فان تفسيره لاندلاع الحروب الصليبيــة ينحصر في ثلاثة أسباب : « اولها التنكيل بالاماكن المقدسة المسيحية . ثانيها التنكيل بالمسيحيين الاوروبيين الذين كانوا يأتون لزيارة الاماكن المقدسة . وثالثها التنكيل بالمسيحيين ابنـــاء البلاد الشرقية » (٧٩) .

ولما كنا سنتطرق الى اعطاء لمحة سريعة على اسباب فتن ١٨٤٠ ــ ١٨٦٠ ، في الفصل الثاني من هذا القسم ، فاننــا سنتوقف الان عند الاسباب الحقيقية للحروب الصليبية ، ولكن باقتضاب يفرضه ضيق المجال .

ان العامل الديني الذي يذكره الاب ضو هو ولا شك عامل هام وأساسي ، ولكنه ليس الوحيد .

فهناك العامل الاقتصادي . ففرنسا ، مثلا ، كانت تعاني ، عشيــة الدعــوة الى الحملــة الصليبية الاولى ، من المجاعة الشاملة (٨٠) . وكذلك لعب اصحاب السفن في المدن الايطالية دورا هاما في الدعوة الى المشروع (٨١) .

وكان هناك العامل الاجتماعي : الهجرة من الاوبئة التي كانت تجتاح أوروبا عام ١٠٩٥ (٨٢) ، والخـــروج من حالــة الذل

---

٧٩ ــ بطرس ضو ، تاريخ الموارنة ... ، الجزء الثالث ، ص ٤٢٩ .

٨٠ ــ سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، ١٩٦٢ ، الجزء الاول ، ص ٣٤ .

ــ ستيفن رنسيمـن ، تاريـخ الحـروب الصليبية ، ترجمـة البـاز العريني ، دار الثقافة ، ١٩٦٧ ، الجزء الاول ، ص ١٧١ .

٨١ ــ Jacques Pirenne, Les grands courants de l'histoire universelle, Paris, 1950, T.2, P. 83.

٨٢ ــ ستيفن رنسيمن ، المرجع السابق ، ص ١٧١ .

والهوان التي كان يعيش فيها عامة الشعب الاوروبي في القرن الحادي عشر .

وهناك العامل السياسي ، خاصة الطموح ، من قبل النبلاء ، للسيطرة على مناطق غنية ، خاصة وان الابن الاكبر ، في الغرب ، كان يرث النسبة الكبرى من اقطاع ابيه ، من هنا وجد الابناء المحرومون من الوراثة ، في الحروب الصليبية ، مجالا لتحقيق طموحهم (٨٣) . بالاضافة الى عوامل اخرى عديدة ، كالفروسية التي يمكن اظهارها في الحروب المقدسة ، وتهديد الباباوات والحاحهم على الامراء والملوك ، ومطالبة ملوك بيزنطة النجدة من اوروبا لمواجهة الزحف السلجوقي ، وطموح الباباوات لاعادة توحيد الكنيسة تحت ستار مواجهة الخطر الاسلامي ، وما الى ذلك من الاسباب المتشعبة .

خامسا — ادخال القوى الماورائية والقديسين لدعم الطائفة وابطالها :

يعرض الاب ضو قصصا واخبارا عن تدخل القديسين والقديسات في المعارك التي يخوضها ابناء الطائفة . ففي القليعة شارك مار جرجس ، من على صهوة حصانه ، في

---

٨٣ — سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق ، ص ٤١ .
— Carl Grimberg, Histoire universelle, Editions Gérard, T. 4, P. 200 .
— تاريخ الحضارات العام ، باشراف موريس كروزيه ، ترجمة يوسف أوفريد داغر ، ١٩٦٥ ، المجلد الثالث ص ٣١٥ .

الدفاع عن البلدة عام ١٩٢٠ (٨٤) . والقديسة بربارة تخلص انسانا من النار (٨٥) .

سادسا ــ تفسير الانجيل على نحو يجيز للطائفة استعمال القوة والعنف :

يذكر الاب ضو ان السيد المسيح قال في انجيل القديس لوقا « من ليس له فليبع ثوبه ويشتري سيفا » . ويعلق على ذلك ان المسيح أوصى تلاميذه باستعمال السيف اي القوة بعد انجاز عمل الفداء ليدافعوا عن كنوز ورسالة الفداء والانجيل في العالم (٨٦) . ثم انه يرفع شعار « كل ماروني جندي » ويدعو الى وضع خطة استراتيجية كاملة تشمل الجبل الماروني كله بشبكة من التحصينات والتجهيزات العسكرية كما كانت الحال في عهد الوطن الماروني المستقل (٨٧) .

سابعا ــ الاشادة بابطال الطائفة والطعن بابطال الطوائف الاخرى :

يكاد الاب ضو لا يرى في الامير بشير الشهابي الكبير الا كل امر ايجابي ، وعلى العكس من ذلك فهو يرمي بشير جنبلاط بكل تهمة ويعتبره ــ كما رأينا ــ المسؤول عن الفتن الطائفية التي حدثت في منتصف القرن الماضي .

ويجزم الاب ضو بتنصر الامير فخر الدين (٨٨) دون أن يترك

---

٨٤ ــ بطرس ضو ، تاريخ الموارنة ... ، الجزء الخامس ص ٢٩٣ .
٨٥ ــ المصدر نفسه ، ص ٢١٩ ــ ٢٢٠ .
٨٦ ــ المصدر نفسه ، ص ٢٨٦ .
٨٧ ــ بطرس ضو ، موارنة لبنان على ضوء تاريخهم ، ص ٢١ .
٨٨ ــ بطرس ضو ، تاريخ الموارنة ، الجزء الرابع ، ص ٢٠٧ ــ ٢١٠ .

مجالا للشك في هذا الامر ، علما ان بعض المؤرخين يتحفظ في الحسم في هذا الموضوع (٨٩) .

ثامنا ــ ابراز فترات الخلاف بين الطوائف وتضخيم الاضطهادات واعطاؤها طابعا ماساويا :

يبرز الاب ضو فترات الخلاف بين الطوائف ويضخم الاضطهادات ويعطيها طابعا مأساويا ، علما ان هناك صفحات مشرقة من التعاون والصفاء بين مختلف الطوائف . فاذا كان صحيحا انه قد حدثت اضطهادات اسلامية للمسيحيين في المشرق ، فهذا امر يجب ان يدرس في اطار الاوضاع التاريخية التي حدثت فيها هذه الاضطهادات . وعلى كل حال الصراعات الدينية ظاهرة عرفتها أوروبا المسيحية نفسها ، كما ان الاضطهادات الدينية حدثت بين الفرق الاسلامية المتنافسة ، وكذلك الخلاف بين الفرق المسيحية في الشرق بلغ ، في بعض الاحيان ، مرحلة الاقتتال الدموي .

ولكن ، في موازاة مظاهر الخلاف ، أو الاقتتال في بعض الاحيان ، بين المسيحيين والمسلمين ، كان هناك فترات ود وصفاء . فابن جبير ، الرحالة الشهير ، الذي مر بلبنان في الربع الاخير من القرن الثاني عشر ، قال : « ومن العجب ان

---

٨٩ ــ عيسى اسكندر المعلوف ، الامير فخر الدين المعني الثاني ، منشورات المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٦٦ ، ص ٢٠١ .

وكذلك ، يعتبر الاب بولس نعمان الامير فخر الدين درزيا (بولس نعمان ، المارونية بين الدين والدولة ، الكسليك ، ١٩٧٠ ، ص ١٣) . والدكتور كمال الصليبي يعتقد ان فخر الدين كان درزيا (ملحق العمل ، العدد ٧١٨٦ ، ٢٨ آب ١٩٦٩ ، ص ١٢)

النصارى المجاورين لجبل لبنان اذا رأوا فيه بعض المنقطعين من المسلمين جلبوا لهم القوت واحسنوا اليهم ، ويقولون : هؤلاء ممن انقطع الى الله عز وجل فتجب مشاركتهم » . ثم يقول : « ... والاتفاق بينهم (أي بين المسلمين والنصارى) والاعتدال في جميع الاحوال » (٩٠) .

كما ان العديدين من الرحالة الاوروبيين لاحظوا عمق الوئام بين الطوائف المسيحية والاسلامية في لبنان (٩١) .

واذا حاولنا التعرف على ظروف انتقال العديد من الاراضي الى الاديار لوجدنا ان من بين الواهبين لهذه الاراضي نسبة غير قليلة من الدروز والشيعة بشكل خاص (٩٢) .

ومن جهة أخرى يذكر المطران دريان (٩٣) انه « لما تغيرت

---

٩٠ ـ رحلة ابن جبير ، دار التراث ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ٢٢٤ ـ ٢٣٥ .

٩١ ـ لقد دهش السائح فولني بما رآه عند زيارته لبنان في عهد الامير يوسف (١٧٠٠ ـ ١٧٨٨) من تسامح الدروز الديني . وكان الدروز والنصارى يتعايشون بسلام ، على حد قوله .

- Volney, voyage en Egypte et en Syrie, Paris, 1789, p.2.

ـ كمال الصليبي ، تاريخ لبنان الحديث ، دار النهار للنشر ، ١٩٦٧ ، ص ٤٢ .

٩٢ ـ الشيخ علي جنبلاط وهب أرضا من أملاكه شرقي جون في اقليم الخروب الى رهبان الروم الكاثوليك لبناء دير على اسم المخلص وسلمهم عقارات لمعاشهم . وساعد الشيخ بشير جنبلاط بتجديد عمار دير مشموشة في اقليم جزين فأرسل له البابا مرسوما يشكره فيه على ذلك . كما بنى كنيسة المختارة للموارنة سنة ١٨٢٠ .

(شاكر الخوري ، مجمع المسرات ، ص ١٨ و ١٩) .

٩٣ ـ المطران يوسف دريان ، نبذة تاريخية في أصل الطائفة المارونية ، مطبعة يوسف صادر ، ١٩١٩ ، ص ٩١ .

الاحوال والحكام في الجبة ذهب عمدة من تلك الناحيـــة الى الشيخ سرحان ابي حمادة وسالوه ان يوجه اليهم واحدا من عائلته ليتولى حكم جبة بشراي فوجه معهم ابن عمه الشيخ احمد ويكنى بأبي زعزوعة لانه كان شابا . واتفق اهل البلاد مع الشيخ سرحان على ان الشيخ أحمد يتولى بلادهم كما يشاء ويعاقب المذنبين كما يشاء . ولكنه لا يحق له ان يتداخل في ثلاثة أمور اي الدين والعرض والدم . فحضر المذكور سنة ١٦٥٤ واجرى كل عدل ورحمة وارضى اهل البلاد » .

وحتى في فترات الفتن والمذابح الطائفية كان هناك مواقف انسانية تنـم عن أصالة لدى افراد من جميـع الطوائف . فبالاضافة الى دور الامير النبيل عبد القادر الجزائري في حماية مسيحيي دمشق ، وهو امر معروف ، أبان فتنة ١٨٦٠ ، هناك تقرير لقنصل فرنسا في بـيروت (٩٤) ، يتحـدث عن بعض العائلات الشيعية في الجنوب ودورها في حماية المسيحيين :

---

٩٤ ــ وثائق وزارة الخارجية الفرنسية ــ
Consulat général de France à Beyrouth, No. 26, Le 23 juin 1860, P. 83.

ويذكر شاكر الخوري في كتابه (مجمع المسرات ، ص ٣٨ و٣٩ و٤٠ و٤١) بعض الحوادث التي عاشها في فتنة ١٨٦٠ ودور بعض وجهاء الشيعة من امثال علي الحر والسيد ابراهيم وحسين الامين وتامر بك الحسين والشيخ فضل والشيخ يوسف نصرالله في دير الزهراني وبيت الحر في جباع ومحمد علي شبيب في المروانية وحسين بك درويش ومشايخ بيت علي الصغير الذي منهم علي بك الاسعد . هؤلاء الوجهاء وغيرهم آووا المشردين من مسيحيي الاقليم واطعموهم مدة تزيد على ثلاثة أشهر .

La conduite des Cheicks Metwalis : Mehmmet Ali Chébib, Youssef Nasralla et Hussein Mohammed, est digne des plus grands éloges — Ces Cheicks ont recueilli et dispersé dans leurs villages les chrétiens et leurs familles et ne cessent de leur prodiguer tous les secours nécessaires .

« ان تصرف المشايخ المتاولة : محمد علي شبيب ، يوسف نصرالله وحسين محمد ، هو مجال تقدير كبير ، ذلك ان هؤلاء المشايخ استقبلوا ووزعوا في قراهم المسيحيين وعائلاتهم (الهاربين من المذابح) ، وما توانوا عن توفير الحماية والرعاية اللازمة لهم » .

حتى ان مؤلف « الحركات في لبنان » اكد ان « الطائفتين ــ الدرزية والمارونية ــ كانت محبة احداهما للاخرى آنسة اليها ، وبعبارة أخرى كانت الجماعتان كجماعة واحدة تعملان على وتيرة واحدة ... وكنت ايامئذ ترى الدرزي والنصراني يقاتلان تحت علم واحد ويحاربان بغية عاقبة واحدة ... وكنت ترى الدرزي يحسن معاملة النصراني ويهش ويبش في وجهه اينما رآه . والنصراني يحترم الدرزي ويستجير به ان حادث عراه » (٩٥) .

تاسعا ــ الازدواجية والتناقض حول الموقف من العلمانية :

احد اهم أسباب هجوم الابو ضو على الاسلام انه ــ في رايه ــ غير علماني ، وانه « يميز بين المسلم والذمي علــى الصعيد

---

٩٥ ــ حسين ويوسف خطار وعارف أبو شقرا ، الحركات في لبنان ، ١٩٥٢ ، ص ٢٥ .

السياسي والمدني والاجتماعي » (٩٦) . وفي حال قبول المسلمين بالعلمنة فذلك لا يشكل ــ برأيه ــ ضمانة للمسيحيين . فتركيا علمانية منذ ١٩٢٠ ، ومع ذلك لا يعامل المسيحيون فيها على قدم المساواة مع المسلمين، وهم أبدا معرضون للاضطهاد(٩٧) .

وعلى الرغم من انه يؤكد « ان النظام المسيحي هو لا طائفي وعلماني في الواقع لانه مستوحى من الانجيل ، والانجيل لا يميز في التعامل بين الناس ، بين مؤمن وكافر وقريب وعدو » (٩٨)، الا انه يعود ويستدرك : « يمكن ان تكون العلمنة اقرب سبيل للقضاء على لبنان وكيانه واستقلاله » (٩٩) . أما سبب معارضة الاب ضو للعلمانية فـ « لان أحزابا لبنانية كثيرة هي بالواقع مبنية على العلمنة (كالحزب القومي والشيوعي وغيرهما . .) ، ولان كمال جنبلاط ينادي بالعلمنة . . . » (١٠٠) . فما هو الحل اذن في رأيه ؟ الحل هو في قيام وطــن قومي ماروني مرتبط بالكنيسة المارونية . وفي سبيل ذلك على الكنيسة أن تضـع « خطتها المدروسة ــ التي ــ تشمل السياسة الخارجيــة والداخليــة ــ وتكــون ــ متماسكــة ومستمرة ولا تزول وتتغير . . . » (١٠١) .

ان مناقشة آراء الاب ضو ، في هذا المجال ، تتطلب بحثا مطولا ، ولكن حسبنا الان طرح بعض النقاط بشكل مختصر :

---

٩٦ ــ بطرس ضو ، موارنة الغد على ضوء تاريخهم ، ص ١٤ .

٩٧ ــ المصدرنفسه ، ص ١٧ .

٩٨ ــ المصدر نفسه ، ص ١٥ ــ ١٦ .

٩٩ ــ المصدر نفسه ، ص ١٧ .

١٠٠ ــ المصدر نفسه ، ص ١٧ .

١٠١ ــ المصدر نفسه ، ص ٢٤ .

١ ــ ليس صحيحا ان الاسلام ، بشكل مطلق ، مناقض للعلمانية ، فبالرغم من وجود تيارات اسلامية متعصبة في معاداتها للعلمانية ، فهناك ، في المقابل ، تيارات فكرية اسلامية معاصرة تحاول ان تفسر الاسلام بشكل ينسجم مع التوجهات العلمانية .

٢ ــ يؤكد الاب ضو ان المسيحية تتوافق حتما مع العلمانية . لكنه ، بعد أسطر ، يعود فيعارضها . الا يحق لنا التساؤل عن مدى تطابق موقف الاب ضو مع المسيحية كما يطرحها الفاتيكان الثاني ؟

٣ ــ العلمانية ، كما حددها اكثر من باحث ، هي موقف شامل ينطلق من التسليم باستقلالية العالم بكل مقوماته وابعاده وقيمه تجاه الدين ومقوماته وابعاده وقيمه . فكيف يوافق الاب ضو على العلمانية من جهة ، ثم يعود فيطلب من الكنيسة المارونية في لبنان أن تضع مخططات تتناول السياسة الخارجية والداخلية للبلاد ؟ علما ان الكنيسة ، عبر مجمع الفاتيكان الثاني ، حسمت بأن الكنيسة « لا ترتبط بأي شكل خاص من اشكال الثقافة ، ولا بأي نظام سياسي واقتصادي واجتماعي » (١٠٢) . ثم اكدت بأن « الجماعة السياسية والكنيسة مستقلتان لا ترتبط الواحدة بالاخرى في الحقل الخاص بكل منهما » (١٠٣) .

فكيف يريد الاب ضو ان يقيم « وطنا قوميا مارونيا » ؟ واستطرادا ، ما هو مصير غير الموارنة الذين يعيشون في هذا الوطن ؟

---

١٠٢ ــ الوثائق المجمعية ، الترجمة العربية ، الجزء الاول ، ص ٨٥ــ٨٦.

١٠٣ ــ المرجع نفسه ، ص ١٤١ .

اننا بكل صدق نحترم الجهد الذي بذله الاب بطرس ضو ، ولكننا على يقين من أن روح المسيحية المحبة ، والرصانة العلمية التي لا تهادن ، سوف تحملان الاب ضو على اعادة النظر في ما كتب . والموارنة ، في تاريخهم الماضي ، وربما المستقبلي ، ما كانوا ولن يكونوا الا مشاركين في نهضة محيطهم ، مساهمين في تطور الانسانية ، رافضين كل اشكال الكيانات العنصرية التي تزوّر ، في وعيها ولاوعيها الطائفي ، كتابة التاريخ ، متوهمة انها بذلك تصنع « اوطانا » مناقضة لحركة التطور التاريخي بمضمونه الانساني .



الفصل الثاني

الدكتور وجيه كوثراني في « الاتجاهات الاجتماعية — السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠ — ١٩٢٠ »

في عام ١٩٧٦ اصدر الدكتور وجيه كوثراني الطبعة الاولى من كتابه عن معهد الانماء العربي . وهو يتضمن عرضا لمنهج المؤلف ومنطلقاته في المقدمة . وفي الفصل الاول يورد نظرة عامة عن الاوضاع الاجتماعية في الجبل اللبناني قبل عام ١٨٦٠. وفي الفصل الثاني يتناول تكون المتصرفية . وفي الفصلين الثالث والرابع يعرض منطلقاته لفهم الاتجاهات السياسية العامة في المشرق العربي مع اشكال واتجاهات النضال ضد الاتراك والاستبداد الحميدي . ويتناول في الفصل الخامس اتجاهات واشكال العمل السياسي بين عامي ١٩٠٨ — ١٩١٤ . وكذلك. في الفصل السادس ، يعالج الاتجاهات السياسية ابان الحرب العالمية الاولى . وفي الفصل الاخير يعرض التوازنات الدولية التي ادت الى تجزئة سوريا الطبيعية وقيام ما يسميه المشاريع التقسيمية .

ومن الضروري ان نعود فنكرر تقديرنا المبدئي للجهد الكبير الذي بذله المؤلف في تجميع مواد مؤلفه ، بيد اننا وجدنا من

الضروري التصدي للكتاب لنقد وتبيان خلفياته الطائفية انطلاقا من أمرين :

١ ــ ان صاحب الكتاب يطرح نفسه كممثل لتيار تقدمي في كتابة التاريخ ، وهو يشكل عينة لمؤرخين آخرين .

٢ ــ رواج بعض مقولاته في أوساط بعض المثقفين والقوى السياسية التي من المفترض ان تولي الكتابة التاريخية والفكر التاريخي اهمية اكبر للدور الفعال الذي يلعبه التاريخ في اعداد القاعدة الصلبة ، على المستوى الايديولوجي العام ، لاحداث عملية التغيير الشاملة في مجتمعنا ، او على الاقل ، في الظرف الراهن ، للوقوف في وجه كافة مظاهر التفكك التي لا تهدد لبنان فحسب ، بل تطال المنطقة العربية باجمعها .

ما هو مبرر اتهامنا للدكتور كوثراني بانه ، في فكره التاريخي، يخدم الايديولوجيا الطائفية ؟
وكيف نبرهن هذا الاتهام من خلال تحليله او تبريره أو تقييمه او عرضه لاحداث تاريخية متعلقة بلبنان أو ببيئته العربية في كتابه المشار اليه ؟

★ ★ ★

يعرض الدكتور كوثراني **منهجه** فيقول بانه « يحاول ان يقرأ التاريخ من وجهة نظر الجماهير العربية وهي وجهة قومية ... لا بالمفهوم المثالي أو « الرومنطيقي » الذي يبحث عن مبررات وجود الامة العربية في الانتقائية الظرفية من التاريخ العربي البعيد ، بلّ بالمفهوم العلمي الذي يرى في الامة العربية مشروعا سياسيا ، اقتصاديا ، اجتماعيا ثقافيا ... » (١) .

---

١ ــ وجيه كوثراني ، الاتجاهات الاجتماعية ــ السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠ ــ ١٩٢٠ ، الطبعة الأولى ١٩٧٦ ، ص ٧ .

وعلى الرغم من انه لا يوضح مفهومه للقومية العربية ، ولا يعطينا فكرة حول مضامين المشروع السياسي والاقتصادي والثقافي الذي يؤمن به ، فاننا نستشف من خلال عدة اشارات واردة في الكتاب ان مفهومه « العلمي » للقومية العربية يرتبط بالاعتبارات التالية :

١ ـــ انها معادية للعلمانية ، باعتبار ان الاستعمار هو الذي بث هذه الفكرة في بلادنا (٢) .

٢ ـــ ثمة تطابق بين « الوحدة الاسلامية » و « الوحدة العربية » (٣) .

٣ ـــ ان الاسلام « رابطة سياسية وحضارية » (٤) ، وان هناك في العصر الحديث ، وليس في القرون الوسطى ، حضارة عربية ـــ اسلامية ، وتاريخ عربي ـــ اسلامي (٥) .

٤ ـــ ان العدو الاساسي الذي يجب مواجهته هو الامبريالية والاستعمار اللذان تمكنا من تحقيق الاختراق والتجزئة ، الامر الذي كان « في أساس تفكيك عناصر التماسك الاجتماعي القائم ، الوحدة العربية ـــ الاسلامية القائمة على وحدة التراث ، وتشابه البنى والتقاليد ، والعلاقات الانسانية » (٦) .

اذن ، يمكننا الاستنتاج ان المؤلف لا ينطلق ، في فكره التاريخي وفي مفهومه للقومية ، من بعد علماني ، بقدر ما ينطلق

---

٢ ـــ المصدر نفسه ، ص ١٠ ، وص ١٠٤ ، وص ١١٤ الخ ...
٣ ـــ المصدر نفسه ، ص ٨ ، وص ١١٤ .
٤ ـــ المصدر نفسه ، ص ١٢٢ .
٥ ـــ المصدر نفسه ، ص ٨ ، وص ٩ .
٦ ـــ المصدر نفسه ، ص ٢٦٨ .

من مفهوم سلفي ديني . وحتى ضمن هذا الاطار يعتبر نفسه اقرب الى طروحات عبد القادر القباني ، ومحسن الامين ، والكواكبي ، وشكيب ارسلان ، ورشيد رضا (٧) ، منه الى التيارات الفكرية والدينية التي برزت في العصر الحديث وحاولت ان تفسر الاسلام ، من موقع ايماني ، على ضوء التحديات المعاصرة وبما يؤدي الى فصل الدين عن السياسة (خاصة مع علي عبد الرازق وخالد محمد خالد) .

هذه الخلفية الدينية للمؤلف ستؤثر ولا شك على دراسته لتاريخ لبنان والمنطقة العربية ، وسنبين بعضا من هذا التأثير .

★ ★ ★

اولا ــ الصاق التهم بابناء الطوائف الاخرى دون براهين مقنعة:

يتهم الدكتور كوثراني « مظاهر الفكر الليبرالي والعلماني الذي نما في الاوساط الدينية المسيحية السورية ... بأنه يصب ، من الناحية السياسية ، في مشاريع التقسيم الامبريالي للوطن العربي والعالم الاسلامي » (٨) . ويحمل على غالبية المفكرين المسيحيين في فترة النهضة ، ويعتبرهم مرتبطين بالمشروع الفرنسي (٩) . بل انه يعتبر ان فارس نمر ويعقوب صروف وشبلي شميل ، مع آخرين ، من الفئات المعادية « لخط الجماهير » ، وبان دعوتهم للعلمانية ما هي سوى

---

٧ ــ المصدر نفسه ، ص ٨ .

٨ ــ المصدر نفسه ، ص ١٠ .

٩ ــ المصدر نفسه ، ص ٢١٤ .

« مشروع امبريالي » متلبس لباس التقنية (١٠) . كما يذهب الى التأكيد بأن نجيب العازوري يجهل اللغة العربية (١١) .

لئن كان البعض من المفكرين المسيحيين ـ من امثال جورج سمنه وشكري غانم ـ مرتبطين بالمشروع الفرنسي (بل ربما كانوا موظفين في وزارة الخارجيـة الفرنسية) ، فان مفكرين آخرين ، من مثل خير الله خير الله وغيره ، كانوا بعيدين عن مثل هذا الامر . بل ان وثائق وزارة الخارجية الفرنسية تحذر، في تقارير متتابعة (١٢) ، من خطـر هؤلاء المثقفين ، وتعطي توجيهات لتعطيل فعاليتهم . ولا شك ان الظروف الغامضة التي توفي فيها المثقف اللبناني (العربي) الكبير خيرالله خيرالله، في شمال افريقيا ، هي افضل دليل على ان الاستعمار يعرف بوضوح من هي القوى الواعيـة التي تشكل خطرا حقيقيا على مصالحه !

ولربما كانت الايديولوجيا الطائفية ، الكامنة في قاع الدكتور كوثراني ، هي التي حملته على هذا الهجوم الذي جعل من رواد « ايديولوجيا العلم » (شميل ـ صروف ـ نمر) اعداء للجماهير العربية ، بينما قدم هؤلاء الى « الجماهير » ، التي يتكلم عنها المؤلف ، واحدة من اعمق التجارب العلمية التي عرفتها النهضة العربية حتى الآن . علما اننا نوافق على وجود علاقات معينة كانت تربط صروف بالانجليز والاميركيين ، ولكن هذه العلاقات ما كانت ـ على ما نعتقد ـ تبلغ حد التبعية

---

١٠ ـ المصدر نفسه ، ص ١٠٤ وص ١١٢ .

١١ ـ المصدر نفسه ، ص ١٦٠ و١٦٢ .

12 — Levant - E, Syrie Liban Cilicie, Dossier général, No. 9, P. 187.

والعمالة !! بل ربما كانت بهدف موازنة ومواجهة الهيمنة الفرنسية .

ثانيا ـ الدفاع عن مواقف ابناء الطائفة والاتهام الجماعي لابناء الطوائف الاخرى :

ان الانحياز لطائفة المؤلف ، والصاق التهم بطائفة الخصم ، هما ـ كما راينا ـ من المظاهر الاساسية في الفكر التاريخي الطائفي . فالدعوة العربية ـ بالنسبة الى الدكتور كوثراني ـ مع المسيحيين ، هي قضية مشبوهة ومرتبطة بالغرب ، ولكنها مع المسلمين هي ظاهرة تقدمية (١٣) . والنزعة المارونية تتفق مع المشاريع العاملة لتقسيم المنطقة (١٤) ، بينما الطوائف الاسلامية تقف موقف المقاومة في مواجهة التغلغل الاوروبي (١٥) . بل ان جميع الاصلاحيين المسلمين لم يدفعهم المازق الذي وصلوا اليه مع الاتراك الى « الارتماء في احضان اوروبا والمراهنة على مشاريعها التقسيمية » (١٦) . علما انه كان هناك مسلمون تعاملوا مع الدول الاوروبية وخدموا مخططاتها التقسيمية في المنطقة (ووثائق وزارات الخارجية الاوروبية خير دليل على ذلك (١٧)) ، وفي المقابل كان هناك موارنة كافحوا النفوذ الاجنبي وناضلوا لانصهار المنطقة وتقدمها .

---

١٣ ـ وجيه كوثراني ، المصدر السابق ، ص ١٢٨ وغيرها .

١٤ ـ المصدر نفسه ص ١٧٦ .

١٥ ـ المصدر نفسه ، ص ٣١ .

١٦ ـ المصدر نفسه ، ص ٢٠٣ .

١٧ ـ وثائق وزارة الخارجية الفرنسية :

Levant - E, Syrie Liban Cilicie, Dossier général, V 1, P. 31 (على سبيل المثال لا الحصر)

والدكتور كوثراني لا يرى في تحرك يوسف بك كرم ضد تسوية ١٨٦٤ الا مطامح شخصية (١٨) . علما ان الوثائق تبرز وقوف كرم مع مشروع دولة عربية مستقلة في سوريا — مع عبد القادر الجزائري — وذلك باستقلالية نسبية عن السياسة الفرنسية في هذه الفترة (١٩) .

ويحاول ، من جهة أخرى ، ان يوجد اسبابا تخفيفية نسبيا لموقف جمال باشا (٢٠) ، متسائلا عن مدى صحة الاتهام بأن جمال باشا نفسه كان يعمل لتقويض وحدة السلطنة العثمانية، علما ان الوثائق المتعلقة بهذا الموضوع نشرها أمين سعيد(٢١) .

وفي مجال تقييمه لتعامل بعض الموارنة مع فرنسا ، وبعض

= وفي تقرير للأمن العام الفرنسي انه من الضروري مراقبة اعضاء « الجمعية اللبنانية » في باريس ورصد تحركاتهم لانهم يشكلون خطرا على المصالح الفرنسية ويعارضون الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان ، وفي طليعة الاسماء التي تلحظ مراقبتها خير الله خير الله .

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية :

Levant - E, Syrie Liban Cilicie, Dossier général No. 9, février 1919, P. 128 et 182.

١٨ — وجيه كوثراني ، المصدر السابق ، ص ٨١ .

١٩ — يمكن مراجعة الرسائل الهامة التي أرسلها يوسف كرم الى عبد القادر في كتاب : سمعان خازن ، يوسف بك كرم في المنفى ، مطبعة الانشاء ، ١٩٥٠ ، ص ٣٤٦ — ٣٦٢ .

٢٠ — وجيه كوثراني ، المصدر السابق ، ص ٢٦٣ .

٢١ — أمين سعيد ، الثورة العربية الكبرى ، مطبعة عيسى البابي ، المجلد الاول ، ص ١٦٥ .

الدروز مع انكلترا ، يحاول المؤلف ان يوحي بأن التعامل الثاني اقل خطرا من التعامل الأول (٢٢) !

وعندما يتطرق الى التيارات التربوية السائدة في تلك الفترة (٢٣) يورد الدكتور كوثراني تقسيما شبه ميكانيكي : فمؤسسات التعليم الفرنسية والمارونية تنتج ايديولوجيا صديقة لفرنسا . والمؤسسات الانكلو ـ اميركية تنتج ايديولوجيا مؤمنة بـ « الديمقراطية الغربية » . أما التعليم الرسمي والاسلامي فينتج ايديولوجيا « الوحدة الاسلامية » و « الوحدة المشرقية العربية » بالشكل الذي ظهرت فيه بين ١٩١٨ و١٩٢٠ ، وهو الشكل الذي يعتبره المؤلف النموذج المثالي للوحدة (٢٤) !

وعندما يتطرق الاستاذ كوثراني الى تفنيد التيارات التي تمحورت حولها القوى الاجتماعية في لبنان والمنطقة قبيل انتهاء الحرب العالمية الاولى وعندما طرحت خريطة المنطقة على بساط البحث في مؤتمر الصلح في باريس (١٩١٩ ـ ١٩٢٠) ، يورد المؤلف وجود تيارين :

ـ تيار مؤيد لفرنسا ، اما مطالب بلبنان الكبير ، او بسوريا الكبرى ، والموارنة ينتمون اليه .

ـ تيار وطني متمثل بالمؤتمر السوري ومؤيد لفيصل ، وينضوي فيه السنة والدروز والشيعة والروم الاورثوذكس (٢٥) .

---

٢٢ ـ وجيه كوثراني ، المصدر السابق ، ص ٦٦ و٦٧ .
٢٣ ـ المصدر نفسه ، ص ١١٤ .
٢٤ ـ المصدر نفسه ، ص ٨ و١٠ .
٢٥ ـ المصدر نفسه ، ص ٢١٥ و٢١٧ و٢١٨ .

ان تحليلا موضوعيا منطلقا من استقراء مجمل الوثائق التي تعود الى هذه الفترة يؤكد الحقائق التالية :

أ ــ كان هناك تيار ثالث طالب بلبنان الكبير دون وصاية فرنسية ، ودون الانضمام الى فيصل . وفي طليعة العاملين تحت لواء هذا التيار « حزب الاتحاد اللبناني » (٢٦) . ولقد قدم هذا الحزب مذكرات مطولة الى مؤتمر الصلح ، رافضا موقف الوفد اللبناني الذي ترأسه داود عمون ، مشددا « على استقلال لبنان التام بحدوده الطبيعية » (٢٧) . ومن أبرز شخصيات هذا الحزب : يوسف السودا ، انطون الجميل ، أوغست اديب ، وغيرهم .

وكذلك ، قدمت الجمعية اللبنانية في باريس العرائض الى السلطات الفرنسية ، وشككت في قانونية تمثيل داود عمون للمصالح الحقيقية للبنان ، وطالبت بالاستقلال التام(٢٨). ومن ابرز اعضائها : عباس بجاني وخيرالله خير الله وهيكل هيكل وسيزار باسيم والياس منسى وانطوان زوين ومارس حنا والياس عاد وسعد نجيم وجوزف حويك وفرح فرح وجوزف فرح ونسيب نجيم وغيرهم . وهؤلاء ، كما ذكرنا ، اخضعوا للمراقبة من قبل السلطات الفرنسية بسبب موقفهم الوطني الاستقلالي (٢٩) . وقد عبرت السلطات الفرنسية عن انزعاجها

---

٢٦ ــ وثائق وزارة الخارجية الفرنسية :
Levant - E, Syrie Liban Cilicie, Dossier général, V. 7, P. 40 et 87 - 94.

٢٧ ــ المرجع نفسه ، مجلد ٩ ، ص ١٢٥ .

٢٨ ــ المرجع نفسه ، ص ١٢٨ و ١٤٨ .

٢٩ ــ المرجع نفسه ، ص ٢٢٩ .

من موقف هؤلاء — ومن بينهم ممثل البطريرك حويك في باريس عمانوئيل خوري واحد اقارب البطريرك — فأوعزت وزارة الخارجية الى نعوم مكرزل بارسال برقية احتجاج الى البطريرك حول هذا الموضوع (٣٠) .

والتقرير الذي وضعته لجنة كينغ — كراين ، بعد قيامها باستفتاء السكان في المنطقة ، اوضح ان ٣٦ عريضة قدمت الى اللجنة تطالب بلبنان الكبير دون وصاية فرنسية (٣١) .

ب — على الرغم من ان اكثرية الموارنة لم تكن مؤيدة لفيصل ، لاسباب لا مجال الان لتحليلها ، بيد ان شخصيات مرموقة ، في قيادة الحركة الفيصلية ، كانت تنتمي الى الطائفة المارونية . فهناك اسعد داغر ، والخوري حبيب اسطفان خطيب مهرجانات فيصل ، وهناك ابن دير القمر اسكندر عمون الذي شغل منصب وزير العدل في حكومة دمشق ، والذي وصفه احد تقارير وزارة الخارجية الفرنسية بأنه « الاخطر على مصالح فرنسا والاشد خصومة لها » ، وهناك عدة تقارير عن فعالية دعايته ضد الفرنسيين عند مجيء لجنة كينغ — كراين (٣٢) .

ج — اما اطلاق الحكم العام الحاسم بأن السنة والشيعة والدروز والروم كانوا مؤيدين ، بمجموعهم ، لفيصل ، وانهم

---

٣٠ — وثائق وزارة الخارجية الفرنسية :

Levant - E, Syrie Liban Cilicie, Dossier général, V. 13, P 112.

٣١ — يمكن مراجعة تقرير لجنة كينغ — كراين في عدة مراجع ، خاصة قدري قلعجي ، جيل الفداء ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧ ، ص ٢١٦ .

٣٢ — وثائق وزارة الخارجية الفرنسية :

Levant - E, Syrie, Liban Cilicie, Dossier général, V. 14, P 20.

شكلوا « التيار الوطني » في تلك المرحلة ، فهو أمر ينم عن جهل مطبق بواقع القوى والتيارات السياسية ضمن هذه الطوائف . فلو تجشم الدكتور كوثراني مشقة الاطلاع على وثائق وزارة الخارجية الفرنسية لوجد أن هناك عشرات بل مئات العرائض لاشخاص من جميع الطوائف طالبوا بلبنان الكبير ، او بالوصاية الفرنسية ، وكانوا من المناهضين للمشروع الفيصلي ، ولوجد ايضا ان العديد من الشخصيات « الوطنية » — في نظره — كانت متعاونة مع الفرنسيين . وحسبنا ان نعطي عينة ضئيلة عما ذهبنا اليه :

فالامير مختار الجزائري وحقي العظم مع الوصاية الفرنسية على سوريا (٣٣) . واجتماع لوجهاء الطائفة الاسلامية في بيروت يطالب ايضا بالوصاية الفرنسية . ومن ابرز هؤلاء : عبد القادر القباني ، احمد قباني ، مصطفى المخزومي ، الشيخ عبد الكريم ابو النصر (٣٤) . وعزت العابد ، واعضاء من عائلة الكيلاني ، ومؤيد وطاهر عبد القادر ، وغيرهم ، يؤكدون ولاءهم لفرنسا (٣٥) . وعرائض من مسلمي بيروت تطالب بالوصاية الفرنسية (٣٦) .

---

٣٣ — وثائق وزارة الخارجية الفرنسية :
Levant - E, Syrie Liban Cilicie, Dossier général, V. 7, P. 164.

٣٤ — المرجع نفسه ، مجلد ١١ ، ص ١٥٧ .

٣٥ — المرجع نفسه ، مجلد ١٥ ، ص ٩٢ .

٣٦ — هناك العديد من العرائض ، على سبيل المثال لا الحصر :
Levant - E, Syrie Liban Cilicier, Dossie général V. 11, P. 109.

مع العلم ان الوفد اللبناني الاول كان يضم حليم الحجار ، من سنة اقليم الخروب ، وكان من اشد المطالبين بالوصاية الفرنسية (وثائق وزارة الخارجية ، مجلد ١٠ ، ص ٨٦) .

ومن جهة اخرى ، مسؤول الاتصال الفرنسي في دمشق (Cousse) يطلب من وزارة الخارجية زيادة الدعم المالي والمعنوي للصحف السائرة مع الفرنسيين (الحقيقة ، البلاغ ، الاقبال ، الاضحى) (٣٧) .

وعلى صعيد الشيعة ، نجد عرائض كثيرة من اهالي الجنوب تطلب الانضمام الى لبنان الكبير (٣٨) . وبنفس المعنى تقريبا هناك عرائض من شيعة بعلبك (٣٩) . وكذلك هناك تقارير تشير الى تحول في صفوف المتاولة الى جانب فرنسا (٤٠) .

اما بالنسبة الى الدروز ، فشيخ عقل بعقلين مع الفرنسيين (٤١) . والتيار الجنبلاطي كان ، على ما يبدو ، مؤيد في اكثريته للفرنسيين (٤٢) . وثمة وثيقة يتعهد فيها فارس بن سعيد الاطرش ، ومتعب بن هلال الاطرش ، وسليمان بن عبدو الاطرش ، بخدمة الحكومة الفرنسية ، ومن يتراجع يدفع نسبة غير قليلة من المال (٤٣) .

---

٣٧ ـ وثائق وزارة الخارجية الفرنسية :

Levant - E, Syrie Liban Cilicie, Dossier général, V. 8, P. 195.

٣٨ ـ المرجع نفسه ، مجلد ٤٤ ، ص ١١١ وص ١١٢ .

٣٩ ـ المرجع نفسه ، مجلد ١٠ ، ص ٢٥ .

٤٠ ـ المرجع نفسه ، مجلد ١٥ ، ص ٨٦ ، ومجلد ١٣ ، ص ٩٠ .

٤١ ـ المرجع نفسه ، مجلد ١٥ ، ص ٨٧ .

٤٢ ـ المرجع نفسه ، ص ٨٤ ، ومجلد ١٤ ص ٨٥ .

وتقرير من بيكو حول موقف الدروز امام لجنة كينغ ـ كراين : المرجع نفسه ، مجلد ١٥ ، ص ٩٤ ـ ٩٥ ، ومجلد ٨ ، ص ٥٢ .

٤٣ ـ المرجع نفسه ، مجلد ١٣ ، ص ١٤١ .

اما بالنسبة الى طائفة الروم الاورثوذكس ، فهناك تقرير من الضابط Thouroude عن كيفية استقباله بالعراضة والحمل على الاكتاف في الاشرفية من قبل الاورثوذكس (٤٤). واورثوذكس الكورة يقفون بنسبة كبيرة منهم مع الفرنسيين (٤٥) .

وفي مؤتمر عقده اللبنانيون المغتربون في اميركا الجنوبية (من الروم الكاثوليك والارثوذكس والموارنة والدروز والشيعة) يتخذ المؤتمرون قرارا بتأييد الوصاية الفرنسية على سوريا ولبنان (٤٦) .

اننا ، اذ نعرض الوثائق والتقارير الموجودة في وزارة الخارجية الفرنسية كدليل على تهافت راي الدكتور كوثراني ، في احكامه العامة واللاعلمية ، فمن الجدير بنا ان نسجل بعض التحفظ على الصحة الكاملة لتلك التقارير ، ولكن ، مهما كان تحفظنا صارما ، فمن الواضح تماما وجود تنوع في المواقف السياسية ، داخل كافة الطوائف اللبنانية ، بالنسبة الى الموقف من لبنان الكبير او التعاون مع فرنسا . علما اننا نسلم،مثلا، بوجود اكثرية مارونية تتفق مع لبنان الكبير والوصاية الفرنسية ، واكثرية سنية تفضل الانضمام الى سوريا الفيصلية .

لكن ما مدى صحة اطلاق صفة الوطنية على موقف فيصل ؟

د ــ بالرغم من وجود تيارات ، في الحركة الفيصلية في الشام ، كانت تشكل بذور نهضة عربية طامحة الى تحقيق

---

٤٤ ــ المرجع نفسه ، مجلد ١٣ ، ص ٨ .

٤٥ ــ المرجع نفسه ، مجلد ١٥ ، ص ٨٤ .

٤٦ ــ المرجع نفسه ، مجلد ١١ ، ص ١٤٨ .

الاستقلال والتقدم الاجتماعي على أسس بعيدة عن الطائفية التعصبية ، فان مختلف التقارير تؤكـد ان الصراع الحقيقي كان بين الانجليز ومن يؤيدهم من جهة ، وبـين العـرب ومن يؤيدهم من جهـة أخرى . امـا القوى الاستقلاليـة الحقيقية ــ اللبنانية والعربية ــ فلم يكن في مقدورها ان تحسم في نتائج الصراع !

كان الانجليز أكثر ذكاء في تحركهم ، فقد « تلطوا » وراء شعارات جذابة (كالقضية العربية ، والوحدة ، والاستقلال الخ ...) . بينما كان الموقف الفرنسي مالوفا أكثر . ولكن ، في العمق ، كان كلا الموقفان استعماريا يستعمـل الترغيب والترهيب للوصول الى اهدافه !

فالاكيد ان فيصل كان يقبض من الانكليز جعالة شهريـة (مبلغ ١٤٠ الف ليرة استرلينية شهريا على الاقل) (٤٧) . وكان لورنس ، الضالع في العمل لسيطرة الصهيونية على فلسطين (٤٨) ، يحضر اجتماعات فيصل الرسمية والخاصة، ويكتب رسائله ومذكراته ، ويعد له اتفاقاته ، ويترجم لـه

---

٤٧ ــ المرجع نفسه ، مجلد ١٥ ، ص ١٥٥ .

ــ انيس صايغ ، الهاشميون والثورة العربية الكبرى ، دار الطليعة ، ١٩٦٦ ، ص ١٤٩ .

٤٨ ــ يمكن مراجعة عدة مطالعات للورنس مـع الفرنسيين ، خاصـة الجلسة التي عقدت بتاريخ ٧ نيسان ١٩١٩ حيث اكد قائلا :

« La Palestine sera un Etat Juif »

(وثائق وزارة الخارجية الفرنسية ، مجلد ١٤ ، ص ٢١٦) .

في مقابلاته ، بل كان يضع له شعاراته واقواله (٤٩) .

بينما كانت السياسة الفرنسية اقل سخاء على مؤيديها ـ علما بأنها كانت تدفع لبعض القيادات ـ ولكنها كانت تعارض توسيع فلسطين ، خاصة في حدودها الشمالية ، الامر الذي جاهد الصهاينة ولورنس لتحقيقه ، علما ان هذا الموقف كان نابعا من مصالحها هي اكثر مما كان منبثقا عن موقف مبدئي مناهض للمشروع الاستيطاني الصهيوني في المنطقة .

فاذا كان الامر كذلك فما هو المعيار الذي على اساسه وزع الدكتور كوثراني « شهادات الوطنية » على البعض وحجبها عن البعض الاخر ؟ انها الايديولوجيا الطائفية التي توجه الكتابة التاريخية ، بل ربما مصطلحات هذا « الزمن الرديء » حيث تطلق التهم بحق هذه « الطائفة الانعزالية » وتتم الاشادة بذاك « الشارع الوطني » !؟

هـ ـ وتأسيسا على ما تقدم ، لا يمكن تقييم هذه المرحلة التاريخية الدقيقة بالتبسيط المعهود المرتكز على الافكار المسبقة ، واطلاق التهم الجماعية بحق طوائف بكاملها ، الموارنة مثلا ، والزعم بأنهم كانوا هم المسؤولين عن تقسيم المنطقة ، وانهم حالوا دون تحقيق الاستقلال والوحدة .

ان عوامل الالحاق والتفكك ـ في الماضي وفي الحاضر ـ يجب أن نفتش عنها ـ بالنسبة الى منطقتنا ـ في جوانب عدة ، بالاضافة الى الاطماع الاستعمارية والمخططات الصهيونية ، وخاصة في البنية الطائفية التي تقسم مجتمعاتنا

---

٤٩ ـ انيس صايغ ، المرجع السابق ، ص ١٩٠ .

عموديا بحيث تشكل الارض الخصبة للتغلغل الاستعماري والصهيوني . وفي هذا السياق ، يجدر بنا أن نشير الى تخلف الايديولوجيا الاسلامية والمسيحية ، وقصور الانتلجنتسيا التغييرية في فهم مكامن التخلف في هذه الايديولوجيا وطبيعة الرد ومقتضيات الصراع الحضاري الشامل وابعاده .

ومن حقنا التساؤل : الى اي حد يمكن اعتبار الفكر التاريخي عند مثقفين كالدكتور كوثراني عامل صحة وبشير نجاح في حلبة الصراع ، ما دام هذا الفكر يعتبر نفسه معاديا لانصهار المجتمع على قاعدة العروبة العلمانية ، وما دام هذا الفكر يؤيد ويدعم أولوية الانتماء الديني والطائفي على الانتماء الوطني !؟

ثالثا ــ محاولة اعطاء البراهين على أن الكيان اللبناني هو ظاهرة مصطنعة من الوجهة التاريخية :

يذهب الدكتور كوثراني الى القول بأن الامارة المعنية والشهابية لم يكن لها اية خصائص مميزة عن سائر المقاطعات التي تشكل السلطنة العثمانية (٥٠) ، وظاهرة فخر الدين والامير بشير أعطيت تفسيرات « استقلالية » و « قوموية » من قبل الصياغة التأريخية الكولونيالية ، التي تكرس وتحمي التجزئة السياسية في المشرق العربي (٥١) .

ويطلق الدكتور حكما لا يقبل النقاش وهو ان المناطق التي ضمت الى المتصرفية عام ١٩٢٠ ليتشكل لبنان الكبير منها

---

٥٠ ــ وجيه كوثراني ، المصدر السابق ، ص ١٦ و١٧ .

٥١ ــ المصدر نفسه ، ص ١٩ .

مجتمعة لم تشملها التسمية (اي لبنان) قبل هذا التاريخ(٥٢).

ان الموقف الذي يتخذه المؤلف من خصوصية الامارة ، وخاصة تقييمه لشخصيتي فخر الدين وبشير ، تتطلب مناقشته بحثا على حدة . وسنكتفي الان ببعض الملاحظات الاولية . لكن قبل التطرق الى عرض هذه الملاحظات نود ان نشير الى وجود خطاين في النظرة التاريخية الى الامارة اللبنانية :

ـ نظرة الايديولوجية الطائفية المسيحية التي تسبغ على هذه الفترة النعوت الاستقلالية والتمايز الشامل عن البيئة العربية المحيطة خاصة ، وعن السلطنة العثمانية عامة .

ـ نظرة الايديولوجية الطائفية الاسلامية التي تقفز فوق الواقع الجغرافي والتاريخي ـ الاقتصادي والسياسي والسوسيولوجي ـ للامارة المعنية والشهابية ، وتعتبر ان لا تمايز مطلقا بينها وبين سائر مقاطعات السلطنة ، وان الاستعمار هو الذي خلق التمايز الجزئي اذا وجد .

والحقيقة ان الامارة كان لها خصائصها الذاتية المتميزة ، ولكن في الان ذاته كانت تخضع لانماط مشتركة مع سائر التشكيلات المكونة للسلطنة العثمانية :

أ ـ الموقع الجغرافي والتركيب السكاني الاقلوي :

ان الطبيعة الجبلية كانت احد اهم العوامل التي ادت بالاقليات المضطهدة في الداخل الى اللجوء الى القمم والوديان الوعرة في هذه البلاد (٥٣) . وتمكنت هذه الاقليات ، بذلك ،

---

٥٢ ـ المصدر نفسه ، ص ١٥ .

٥٣ ـ ادمون رباط ، الوسيط في القانون الدستوري اللبناني ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٠ ، ص ٦٤ .

ان تمارس حرياتها ، وخاصة الدينية ، بعيدا عن رقابة السلطة المركزية في الداخل (٥٤) . والاضطهادات لم تكن دائما من المسلمين للمسيحيين ، فالموارنة هربوا من مضايقات السلطة البيزنطية (٥٥) ، والروم الكاثوليك هربوا الى لبنان ، أبان القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ، اتقاء لمضايقات الروم الاورثوذكس (٥٦) .

وفي عهد الامير بشير الشهابي الكبير حدثت هجرة من نصارى بلاد الشام الى لبنان بسبب القيود التي فرضت عليهم ، كما ان الدروز الذين اضطهدوا في منطقة حلب استقدموا للاستيطان في الشوف والمتن ، وتقاسم البشيران

---

٥٤ ــ ذكر ميسلن ، الذي قام برحلة الى لبنان والمنطقة في منتصف القرن التاسع عشر ، ان مرافقه فرنسيس أجابه ، عندما ابدى هو تذمره من وعورة الجبال والطرقات : « فاجابني الشيخ فرنسيس قال : « لا تنس انه الى هذه الجبال الصعبة المنيعة يعود الفضل الاول في حفظ كياننا وديننا . كل من حولنا قد أرغموا على ترك دينهم الا نحن هنا فاستمررنا على ايماننا . ففي أوان الحروب كل صخر عندنا هو قلعة لا تؤخذ ، وحصن لا يطال . فاذا خططت جبالنا بطرقات سهلة المراس ، خسرنا امتيازنا الاخير الذي أحسنا ضبطه والابقاء عليه الى الان !!... »

(رحلة المنسيور ميسلن ، نقله الى العربية الاب اغناطيوس طنوس الخوري ، هدية مجلة السنابل ، الاعداد ٨ و٩ و ١٠ ، آب وأيلول وتشرين الاول ١٩٦٠ ، ص ٥٥٩) .

٥٥ ــ كمال الصليبي ، منطلق تاريخ لبنان ، ص ٣٩ .

٥٦ ــ الاب يوسف الشماس ، خلاصة تاريخ الكنيسة الملكية ، المطبعة المخلصية ، الجزء الثالث ، ص ٨٩ .

(شهاب وجنبلاط) نفقات نقلهم الى لبنان في عام ١٨١١ (٥٧) .

ان الموقع الجبلي للبنان كان له الدور الواضح في اعطاء تركيبه الديمغرافي طابعا معينا : ففي احصاء لذكور لبنان أجري عام ١٨٣٩ (من سن ١٤ الى سن ٧٠) نجد ان العدد يبلغ ستين الف ذكر ، منهم ٣٠ الف موارنة ، ٩ آلاف من الدروز ، والسنة الف ، والشيعيون ثلاثة آلاف (٥٨) . بينما في « اخبار الاعيان » نجد احصاء آخر ، اذ ان مجموع النصارى ٨٧٧٢٧ والدروز ١٣٠٢٣ والسنة والمتاولة ٦٧٤٤ (٥٩) .

والطابع الديمغرافي الخاص هذا كان له اثره في اعطاء الامارة بعض الخصائص الذاتية الواضحة .

ب — التمايز في ملكية الارض بين الامارة واراضي الولايات :

من شبه المتفق عليه بين مؤرخي السلطنة العثمانية ان نظام ملكية الارض ، في الاقاليم العربية التابعة للامبراطورية العثمانية ، كان معقداً الى أقصى حد . ولكن ، يتضح ، بشكل عام ، انه كان هناك ثلاثة اصناف رئيسية :

---

٥٧ — كمال الصليبي ، تاريخ لبنان الحديث ، دار النهار للنشر ، ١٩٦٧ ، ص ٥٤ . وكذلك اسد رستم ، بشير بين السلطان والعزيز ، بيروت ١٩٦٦ ، ص ٣١ . وايضا عيسى اسكندر المعلوف ، لبنان : مباحث علمية واجتماعية ، منشورات الجامعة اللبنانية ، ١٩٦٩ ، الجزء الاول ، ص ٣٦٣.

٥٨ — سليم ابو اسماعيل ، الدروز : وجودهم ومذهبهم وتوطنهم ، مطابع فضول ، بدون تاريخ ، ص ٤٧ .

٥٩ — طنوس الشدياق ، أخبار الاعيان في جبل لبنان ، مطابع سميا ، ١٩٥٤ ، الجزء الاول ، ص ٣٢ .

— اراضي الدولة — اي الاراضي الاميرية او « الميري » — وكان السلطان نفسه يعتبر مالكها الاعلى .

— اراضي المؤسسات الدينية ، اي الاوقاف .

— الاراضي الخاصة ، اي الملك الصرف .

هذا بالاضافة الى نظام الملكية المشاعية للاراضي (٦٠) ، وكذلك الاراضي الموات .

وعلى الرغم من ان مصادر متنوعة وموثوقة تبين وجود تباين بين الاقطاع الذي كان سائدا في ايام الصليبيين (٦١) المماليك (٦٢) ، في لبنان ، بالنسبة الى المناطق الداخلية ، ومن المفترض ان يبقى هذا التمايز مستمرا في الفترة العثمانية ، الا ان الاستاذ دومينيك شوفالييه (٦٣) يعتبر ان الملكية في لبنان غير متمايزة عن الطابع العثماني العام — علما أنه يقر بخصوصية الوراثة فيها — ويعتبر ان دفع الضريبة ما هو الا دليل على كون الاملاك هي ملك للسلطان ، ما عدا بعض ما يعرف باسم الاوقاف . وما اعتبره بعض الموارنة ملكية تامة ما هو الا

---

٦٠ — فلاديمير لوتسكي ، تاريخ الاقطار العربية الحديث ، دار التقدم — موسكو ، ١٩٧١ ، ص ٩ .

٦١ — محمد علي مكي ، لبنان من الفتح العربي الى الفتح العثماني ، دار النهار للنشر ،ص٢١٠ — ٢١١ .

٦٢ — صالح بن يحيى ، المرجع السابق ، ص ٨٤ — ٨٧ وص ٨٩ — ٩١ .

— الياس القطار ، المرجع السابق ، ص ٢٢١ — ٢١٢ — ٢١٣ و٢١٤ وص ٢٣٣ .

٦٣ — دومينيك شوفالييه ، المرجع السابق ، ص ٨٠ و٨١ .

ملكية تصرفية ، وهـو أمر كان موجودا في مناطق اخـرى من السلطنة .

لكن هناك آراء أخرى مناقضة لراي الدكتور شوفالييه . ففولني يعتبر الملكية في جبل لبنان عند الموارنة والدروز هي ملكية حقيقية ، بينما العكس هو الصحيح في سوريا ، حيث المالك الحقيقي للملكية المنقولة وغير المنقولة هو السلطان(٦٤).

والاب مارون كرم ، مستندا الى صكوك وسجلات من جبل لبنان ومناطق الولاية ، يؤكد ان بين الملكية في جبل لبنان والملكية في الولايات فرقا جوهريا : ففي الجبل كانت حقيقية بحيث كان للمالك حق التصرف التام بملكه من بيع ورهن وهبة ومقايضة ومشاركة ... وكان على هذا الحق كثير من الموجبات . اما في الولايات فلم تكن الملكية حقيقية مثلها اليوم ، بل شكلية فقط ، وللمزارعين والاهلين حق الانتفاع والاستثمار لا غير (٦٥) .

ويؤكد الدكتور ادمون رباط خصوصية الملكية في جبل لبنان ، معتبرا انه ، بخلاف نظام الاقطاع المعتمد في باقي المناطق الاسلامية وفي الفيودالية الغربية ، كان الفلاح في جبل لبنان يحتفظ بكامل الحرية الشخصية ، واستطرادا بامكانية الملكية الخاصة (٦٦) .

---

٦٤ — Volney, Voyage en Syrie et en Egypte, Paris, 1789, Vol. II, P. 369.

٦٥ — الاب مارون كرم ، قصة الملكية في الرهبانية اللبنانية المارونية ، دار الطباعة اللبنانية ، ١٩٧٢ ، ص ٢٣ .

٦٦ — Edmond Rabbath, La formation historique du Liban politique et consitutionnel, 1973, P. 170.

انطلاقا من هذين الموقفين المتباينين من قضية الملكية في الامارة اللبنانية — حيث الدكتور كوثراني يعتمد الراي الاول — ما هو الموقف الذي نراه اقرب الى الموضوعية ؟

ان الفارق الاساسي بين الملكية في الامارة وباقي مناطق السلطنة يبدو انه يكمن في تباين نسب اشكال حقوق الملكية اكثر منه في تباين الاشكال القانونية العامة للملكية . وبشكل عام يمكننا ملاحظة الفروقات التالية :

— ارتفاع نسبة الاراضي المملوكة من الافراد في الامارة عنها في باقي ولايات السلطنة .

— ارتفاع نسبة الاوقاف .

— ضعف اهمية الاراضي الاميرية (البيليك خاصة *) في جبل لبنان ، بسبب عدم خصوبتها من جهة ، وبسبب الضعف النسبي للسلطنة المركزية العثمانية فيه من جهة أخرى .

— التحول المبكر للاراضي الاميرية شكليا الى اراضي ملك فعليا .

— ضعف اهمية الاراضي الموات بسبب الكثافة السكانية في الجبل اللبناني .

---

* كانت الاراضي الاميرية تقسم الى قسمين :

١ — البيليك : اي ملك السلطان الخاص .

٢ — الاراضي الاميرية العادية التي ، مع مرور الزمن ، اصبحت اكثر فاكثر في تصرف الافراد (خاصة في البقاع وعكار) ، واصبح حق الرقبة (Abusus) — الذي هو للدولة نظريا — في متناول مستثمري الارض فعليا .

ج ـ بعض ميزات الامارة في القضاء والممارسة الدينية والتعليم :

في مجال القضاء ، اعترف المؤرخ التركي جودت باشا ، وزير المعارف ، في الجزء الاول من تاريخه ص ٣٥٤ ، بالاستقلالية النسبية للامارة : « وكانوا (الامراء الشهابيون) في ادارتهم الداخلية واحكامهم مستقلين ، فلا يقدر احد من حكام الدولة ان يتداخل في امورهم الداخلية ، حتى ان اهل الجنايات الذين كانوا يلجأون اليهم لخوفهم من الولاة يأمنون على انفسهم ، وذلك لانه كان من الاصول المرعية عندهم وجوب صيانة من يهرب اليهم ويحتمي بهم ، فكان الولاة لذلك لا يقدرون على استرداده . وكان لهم امتيازات في سائر الخصوصيات على هذا الوجه . وكان حاكم الجبل اذ ذاك مرجعا لحكام العشائر الموجودين في نواحيه . وكذلك غيرهم من الامراء والمشايخ القاطنين في اطراف الجبل كانوا خاضعين لهذه الطائفة الشهابية ، فلا يقدر احد من كبرائهم ان يقاومها بل يوافقون على ما ارادوه ، وعلى الاخص مشايخ بلاد بشارة وحاصبيا وراشيا الذين هم اهل وادي التيم . وكذلك مشايخ بعلبك والضنية فانهم كانوا في كل حال يراجعون الامير الشهابي حاكم الجبل في عظائم الامور من كمال التعظيم له » (٦٧) .

وقال الاب اوجيني روجيه ، وهو رحالة اوروبي ، بالنسبة الى الموارنة : « وليس لهذا الشعب من قضاة سوى

---

٦٧ ـ فيليب الخازن ، لمحة تاريخية في استمرار استقلال لبنان التشريعي والقضائي منذ الفتح العثماني سنة ١٥١٦ ، مطبعة الاخبار ، مصر ١٩١٠ ، ص ١٥ .

البطريرك والاساقفة يفصلون كل الخلافات ، وهكذا فلا علاقة للسلطة العثمانية بالدعاوى التي تنشأ بين الموارنة » (٦٨) .

وكان المشايخ الدروز يطبقون سريا شرائعهم السرية الدرزية فيما يتعلق بالقضايا العائلية والدينية في طائفتهم ، وكانوا يموهون هذه الاحكام بمظاهر وشكليات الشريعة الاسلامية (٦٩) .

وعلى صعيد آخر ، كان هناك استقلال نسبي لبطاركة الطوائف وحرية أكثر ، خاصة في بناء الكنائس والأديار والمجالس والمدارس ، حيث لا ضرورة الى استئذان السلطة الزمنية أيا كانت ، اذ يكفي لذلك ترخيص البطريرك أو الاسقف في ابرشيته . علما أن هذا الامر كان يتطلب ، خارج الامارة ، طلب رخصة من الاستانة أو من السلطة المحلية (٧٠) .

ولقد كان لوجود الارساليات الاجنبية ، والمدارس التي فتحتها ، والنشاط الثقافي والاجتماعي والسياسي الذي قامت

---

٦٨ ــ ميشال شبلي، التشريع والقضاء في عهد الامراء، مجلة«المشرق»، مجلد ٤٦ ، الجزء الثالث (أيار حزيران) ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٥٢ ، ص ٣٣٦ .

٦٩ ــ وجيه خوري، القضاء في لبنان في عهد الحكم الاقطاعي، مجلة«المشرق»، مجلد ٢١ ، العدد الثاني (شباط) ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٣٣ ، ص ٩٨ .

٧٠ ــ المطران يوسف دريان ، نبذة تاريخية في أصل الطائفة المارونية ، مطبعة صادر ، ١٩١٩ ، الطبعة الثالثة ، ص ٣٠٩ ــ ٣١٠ .

وايضا حول الحرية في الامارة :

ــ فيليب حتى ، المرجع السابق ، ص ٤٧٧ .

ــ جواد بولس ، تاريخ لبنان ، دار النهار للنشر ، ص ٣٢٥ .

به ، الدور الهام في تطوير أوضاع الطوائف اللبنانية على المستوى العلمي ، الامر الذي أعطى الامارة وضعا خاصا ، وجعلها فيما بعد تلعب دورا هاما في النهضة العربية الحديثة. وليس من قبيل الصدفة أن تشهد الامارة قيام مطبعة دير قزحيا ، ومطبعة الشوير (٧١) . وليس من قبيل الصدفة أن يلعب خريجو المدرسة المارونية في روما دورا مزدوجا : نقل تراث الشرق الى الحواضر العلمية في الغرب ، ومحاولة وضع الاصلاحات لمؤسسات الطوائف المسيحية في الشرق (المجمع الماروني في اللويزة ١٦٣٦ ودور السمعاني فيه) (٧٢).

د ــ الامارة كانت منطلق التدخل الدولي في المنطقة :

ان الموقع الجغرافي ، والتركيب الديمغرافي للامارة ، بالاضافة الى ضعف السلطنة العثمانية من جهة ، والاطماع التوسعية للدول الاوروبية في المنطقة من جهة أخرى ، هي عوامل هامة في تفسير العديد من الاحداث التي عرفها تاريخ لبنان الحديث .

فبين تعاون الامير فخر الدين مع الغرب (٧٣) ، ومبادرة الامير يوسف الشهابي للتعاون مع روسيا (٧٤) ، وتحالف

---

٧١ ــ الاب بولس شيخو ، الاداب العربية في القرن التاسع عشر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٢٤ ، الجزء الاول ، ص ٦ .

٧٢ ــ المجمع اللبناني ، ترجمة المطران يوسف نجم ، مطبعة الارز ، جونية ١٩٠٠ .

٧٣ ــ يمكن مراجعة الوثائق الهامة التي نشرها الاب بولس قرالي في كتابه : فخر الدين الثاني ، مطبعة القديس بولس ، ١٩٣٨ ، الجزء الثاني ، خاصة ص ٢٦٣ حتى ص ٢٨٦ .

٧٤ ــ لوتسكي ، المرجع السابق ، ص ٣٩ .

الامير بشير مع محمد علي بمباركة فرنسا ونجاحهما الجزئي والمؤقت في السيطرة على المنطقة (٧٥) ، وتسوية بروتوكول ١٨٦٤ التي ادت الى قيام المتصرفية (٧٦) ، بين كل ذلك ثمة خط رابط لا يمكن تفسيره الا اذا وقفنا عند نقاط اساسية منها :

ـ ان الاقليات المشكلة للامارة ترفض استمرار السيطرة الاكثرية الخارجية ، وتسعى الى تثبيت هويتها السياسية الخاصة .

ـ ان الدولة العثمانية تزداد ضعفا وتفككا وتتفاقم فيها جملة مشكلات .

ـ ان الدول الاوروبية ، وبخاصة فرنسا وانكلترا ، والى حد ما روسيا ، تتوسل مشكلات الاقليات في السلطنة لفرض مصالحها وتزايد تدخلها كمقدمة للسيطرة المباشرة عندما تحين الفرصة .

من هنا كانت الامارة اللبنانية مجال اهتمام دولي ، ليس لاهميتها الذاتية فحسب ، بل لكونها مدخلا يمكن الولوج من

---

٧٥ ـ يمكن مراجعة عدة مراجع حول هذا الموضوع ، خاصة :

ـ اسد رستم ، بشير بين السلطان والعزيز ، منشورات الجامعة اللبنانية ، ١٩٦٦ ، ص ٥٨ ـ ٥٩ .

ـ وثائق وزارة الخارجية الفرنسية ، وبخاصة تقارير قنصلية بيروت ، ١٩٤٠ ، مجلد رقم ١ ، ص ١٢ .

٧٦ ـ المحررات السياسية ، تعريب فيليب وفريد الخازن ، مطبعة الصبر ـ جونية ، ١٩١١ ، الجزء الثالث ، وفيها اشارات كثيرة الى ان الامارة كان لها وضع خاص في السلطنة (ص ٢٣ ، وص ٦١ وص ١١٩ وص ١٩١ وص ٢٠١) .

خلاله للسيطرة على سورية التي قال فيهـا نابوليون : من يسيطر على سوريا يسيطر على مفتاح آسيا .

هذا ردنا ، باقتضاب ، علـى الموقف الطائفي للدكتـور كوثراني من الامارة . وعلى صعيد آخر ، ماذا نقول عن الحكم المطلق الذي ابرمه حول عدم وجود اية علاقة رسمية بـين لبنان المتصرفية والمناطق التي ضمت اليه عام ١٩٢٠ ؟

هذا الجانب يتطلب هو الاخر بحثا مطولا على حدة ، لكن حسبنا أن نلفت نظر الدكتور كوثراني الى بعض المراجع التي تدحض زعمه ، والتي تعود الى ما قبل عام ١٩٢٠ :

فقد ذكر طنوس الشدياق ان لبنان هو جبل ... طوله من عكار الى الكرمل (٧٧) .

والبطريرك بولس مسعد (٧٨) اعتبر « ان جبل لبنان ، كما يشهد علماء الجغرافية ، يبتدي لجهة الشمال من حدود جبال النصيرية الفاصل بينه وبينها لجهة الجنوب عند مرج ابن عامر الى شرقي عكا — ويضيف — والجهة الشرقيـة الممتدة نحو البلاد العربية مستطيلا لتحت دمشق يسميهـا اليونان انطيليبان أي مقابل لبنان ومنه جبـل الشيخ فوق حاصبيا (الذي ارتفاعه عن مساواة البحر نحو عشرة آلاف قدم وقد سماه أبو الفدا جبل سنير وجبل الثلج) ويتوسط بينهما سهل او وادي متسع يسمى البقاع » .

---

٧٧ — طنوس الشدياق ، المرجع السابق ، ص ٥ .

٧٨ — البطريرك بولس مسعد ، الدر المنظوم ردا على الاسئلة والاجوبة المضاة باسم السيد البطريرك مكسيموس مظلوم ، مطبعة سيدة طاميش ، ١٨٦٣ ، ص ٢٨٨ — ٢٨٩ .

والاب غبرئيل يعطي تحديدا مشابها (٧٩) .

ويبدو ان الدكتور كوثراني لم يطلع ايضا على كتاب بولس نجيم حول المسألة اللبنانية لانه يؤكد في صفحة ١١ وص ٢٢٨ ان المطالبة بتوسيع حدود جبل لبنان لم تبدأ الا بعد عام ١٩١١ ، علما ان صاحب كتاب « المسألة اللبنانية » كان من كبار المنظرين لتوسيع حدود لبنان (٨٠) ، وقد طبع كتابه عام ١٩٠٨ .

والاب لامنس منذ عام ١٩٠٢ اعتبر « ان حكومة لبنان المستقلة لا تملك الا جزءا لا يتجاوز ثلاثة اخماس لبنان الجغرافي ... أما حدود لبنان الجغرافية فهي تمتد من البحر المتوسط غربا ، الى النهر الكبير شمالا ، الى العاصي شرقا ، الى الليطاني جنوبا ... وقد سلخوا عن لبنان قائمقاميتي طرابلس وعكار شمالا ، وقائمقامية صيدا جنوبا ، واغرب من هذا ما سلخوه من الجهة الشرقية حيث الحدود الطبيعية ظاهرة للعيان يكفي فيها اتباع مجرى العاصي والليطاني ... » (٨١) .

---

٧٩ ـ الخوري ميخائيل عبد الله غبرئيل الشبابي ، تاريخ الكنيسة الانطاكية السريانية المارونية ، المطبعة اللبنانية ، ١٩٠٠ ، المجلد الاول ، ص ٤٩٦ ـ ٤٩٧ .

٨٠ ـ Jouplain (pseudonyme de M. Paul Noujaim), — La question du Liban, 1ère édition, Paris, 1908.

يمكن مراجعة عدة صفحات ، على سبيل المثال لا الحصر ص ٥٨٩ .

٨١ ـ الاب هنري لامنس ، استقلال لبنان الذاتي في اربعين سنة ، مجلة الاونيفر ، ١٢ أيار ١٩٠٢ ، ص ٥ وما يليها . وكذلك : يوسف السودا ، في سبيل لبنان ، الاسكندرية ١٩٢٧ ، ص ٢٩٠ ـ ٢٩١ .

والاستاذ يوسف السودا ، من خـلال مذكرات « حزب الاتحاد اللبناني » ، ومن خلال مؤلفاته خاصـة « في سبيل لبنان » ، انتقـد المادة الثالثة من البروتوكول التي حصرت لبنان « ضمن حدود خانقة فسلخت عنه المدن والسهول التي اعطته اياها طبيعة البلاد الجغرافية مثل بيروت وصيـدا وطرابلس والبقاع ... » (٨٢) .

ثم هناك الجمعيات السياسية في المهاجر ، والتي تمـد بالعشرات ، وكلها وضعت في برامجها تحقيق لبنان الكبير . فهذه جمعية النهضة اللبنانية في نيويورك ، تضع في المـادة الخامسة من برنامجها :

« ٥ ـ تمديد لبنان بعد تقلصه ، اي اعادة حدوده الاولى والطبيعية اليه ما بين نهـري القاسمية والعاصي . ومعنى ذلك ان تكون حدوده كما كانت على عهد امرائه الاصلاء من القاسمية الى جبل الشيخ الى لبنان الشرقي الى حمص فالنهر الكبير ، وهي حدود تتناول بيروت وطرابلس وصيدا والسهول المحيطة به ـ اللبنانيون لا يطلبون التوسع بهذه المطالب بل اعادة الحدود التي انتزعها المنتزعون اليهم » (٨٣) .

وبالاضافة الى ذلك ، هناك عشرات العرائض ممهورة من اناس ينتمون الى طوائف اسلامية ومسيحية طالبت ، عشية مؤتمر الصلح ، بلبنان الكبير .

ان توقفنـا ، باقتضاب ، عنـد بعض خصائص الامارة اللبنانية ، واثبات ان لبنان ، بحدوده الحالية ، لم يكن فقط

---

٨٢ ـ يوسف السودا ، المرجع السابق ، ص ٢٨٥ .

٨٣ ـ مجلة « المنار » ، م ١٧ ، ج ٨ ، ص ٦٤٩ .

وليد ارادة الاجنبي ، كان لا بد منه للرد على الايديولوجية الاسلامية الطائفية ، أو العروبية الرومنطيقية ــ بما فيها موقف الدكتور كوثراني ــ وهي التي تحاول ، تحت شعارات عامة كالوحدة أو التجزئة الاستعمارية والتاريخ الكولونيالي وما اليها ، أن تقفز فوق حقائق الواقع التاريخي . علما ان معالجتنا لهذه الخصوصية ليس من اهدافه ايجاد اسس لتكريس التباعد بين لبنان ومحيطه العربي ، شأن ما يفعل البعض ، بل بهدف الانطلاق من حقائق الواقع وبناء التفاهم، وبالتالي ، التعاون العربي ، على اسس جديدة ومفاهيم علمانية وديمقراطية انسانية .

رابعا ــ تبسيط بعض الاسباب لاحداث تاريخية ومحاولة الاقلال من شأنها :

يعتبر الدكتور كوثراني ان « الكثافة السكانية في كل من كسروان والمتن والشوف وجزين تفسر الى حد لما كانت هذه المناطق خلال عشرين سنة من الزمن (١٨٤٠ ــ ١٨٦٠) مسرحا رئيسيا للانتفاضات الفلاحية » (٨٤) . وعلى الرغم من استدراكه لضعف هذا التحليل ، يحاول في الصفحة ٦٨ ان يفسر الصدام الذي حصل في الشام عام ١٨٦٠ بأنه نتيجة « التناقض الرئيسي بين جماهير اسلامية تعيش على الحرف ، والانتاج الزراعي ، والتجارة الداخلية من جهة ، وبين التغلغل الاستعماري الذي شكل « غنى » المسيحيين رمزه المحلي ، من جهة ثانية » . وضمن الخط التبسيطي ، ذي الخلفيات الطائفية ، يشرح الانتفاضة الفلاحية في كسروان

---

٨٤ ــ وجيه كوثراني ، المصدر السابق ، ص ٣٧ .

ويحاول أن يربط « مطالبها الديمقراطية» ـ بشكل ميكانيكي ـ بالتنظيمات العثمانية كخط كلخانة (١٨٣٩) وخط همايوني (١٨٥٦) (٨٥) .

من الواضح ، اذن ، ان اندلاع الفتن الطائفية يتحمل مسؤليته المسيحيون . ومن الواضح ان المؤلف يحاول ان يعطي الصراع بعدا طبقيا (المسلمون فقراء ، والمسيحيون أغنياء) ، ثم أنه يحاول ان يطمس كل جوانب الوعي الاجتماعي لدى الفلاحين والاكليروس في كسروان ابان انتفاضتهم ، وبالتالي دور اشخاص كالبطريرك بولس مسعد (٨٦) والياس المنير (٨٧) ، علما اننا لا نقلل من اهمية السبب الذي ذكره .

حاشا ان نزعم ان المسيحيين أو الموارنة لم يكونوا مسؤولين وبنسبة غير قليلة عن اندلاع الفتن الطائفية (١٨٤٠ ـ ١٨٦٠) ، لكن المنهجية العلمية ـ البعيدة عن كل ميل طائفي ـ تفرض علينا ان نولي الظروف الداخلية لمختلف الطوائف ، والتدخلات الاجنبية وتشعباتها (العثمانية والاوروبية) ، الاهمية اللازمة عند تصدينا لبحث «الحركات» والفتن التي عرفها لبنان ابان القرن الماضي . لكننا قبل ان نعرض أسباب الفتن ـ وقد بسطها الدكتور كوثراني واعتبر المسيحيين مسؤولين عنها ، كما أعتبر الاب ضو الدروز مسؤولين عنها ـ يجب علينا ان نورد ملاحظتين :

---

٨٥ ـ المصدر نفسه ، ص ٦٤ .

٨٦ ـ وثائق وزارة الخارجية الفرنسية ، قنصلية بيروت ، مجلد ٨ ، ص ٥ (وجه وقفا) .

٨٧ ـ الخوري منصور الحتوني ، نبذة تاريخية في المقاطعة الكسروانية ، ١٨٨٤ ، ص ٣٣٢ .

ـــ ان المجال لا يسمح لنا بالتوسع ، وبالتالي فنحن سنقتصر على الخطوط العامة .

ـــ ان مجمل الاسباب التي سنعرضها كانت متداخلة ومتفاعلة فيما بينها ، وان فصلها ما هو سوى عمل تجريدي بحت .

ا ـــ الاسباب الداخلية للفتن :

ـــ زيادة الضرائب وانخفاض قيمة النقد (٨٨) (٥ مرات على الاقل) ، واستخدام النهب المباشر لممتلكات المشايخ الدروز (٨٩) ، واعطاؤها للاغنياء المسيحيين وللكنيسة المارونية .

ـــ كان الامير بشير الكبير يشجع انتقال الفلاحين الموارنة الى الاراضي الحرة في وسط لبنان (٩٠) ، كما حطم القيادات الاقطاعية الدرزية ، خاصة بشير جنبلاط الذي اعتبر القضاء عليه ضربة اصابت الطائفة الدرزية بأكملها .

ـــ معاملة المصريين السيئة للدروز (ضرائب ، تجنيد ، قمع ونفي ...) ، بعكس حسن المعاملة التي نعم بها النصارى ـــ خاصة في الفترة الاولى من الحكم المصري . وبعد ان عاد زعماء الدروز من منفاهم بعد عام ١٨٤٠ وجدوا

---

٨٨ ـــ دومينيك شوفالييه ، المرجع السابق ، ص ١٢٢ وص ١٣٠ .

٨٩ ـــ وضاح شرارة ، في اصول لبنان الطائفي ، دار الطليعة ، ١٩٧٥ ، ص ٤٧ .

٩٠ ـــ ا. سميليانسكايا ، الحركات الفلاحية في لبنان ، دار الفارابي ودار الجماهير ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ١٠٧ ـــ ١٠٨ ـــ ١٠٩ .

ـــ ابو شقرا ، الحركات في لبنان الى عهد المتصرفية ، ص ٢٥ وص ٣٢ .

اقاربهم واصدقاءهم في حالة يرثى لها ، فيما نعم النصارى بنوع من البحبوحة والرخاء (٩١) .

رفض النصارى القاطنون في المناطق الدرزية اعادة سيطرة المقاطعجية الدروز (جباية الضرائب ، المحافظة على الامن ، وخاصة ممارسة السلطة القضائية في الشؤون المدنية والجزائية) ، الامر الذي اعتبره اعيان الدروز تحديا لسلطتهم ويجب مواجهته بالقوة .

— بذور التململ الاجتماعي والفكري ، ذلك ان التوازن الداخلي بين الدروز والموارنة كان على تحول (٩٢) ، كما كان التوازن الداخلي في قلب الطائفة المارونية نفسها على تحول ايضا . فقد رأت عائلات الجبل الاقطاعية ان سلطتها المحلية اخذت تنهار شيئا فشيئا بفعل تحديين : تحدي الاكليروس الذي كان يستعمل احيانا نفوذه المتزايد لدعم الفلاحين في نزاعهم مع اسيادهم ، وتحدي تجار المرفأ الاوروبيين والشرقيين معا الذين كانوا يستوردون البضائع المصنوعة ويصدرون الحرير ويستولون تدريجيا على وظائف الملاكين الاقتصادية ... كان ، اذن ، لهذا التوتر وللازمة التي ادى اليها وجهان : كفاح الدروز للاحتفاظ بسيطرتهم التقليدية ، وكفاح اعيان الموارنة ضد قوى التغيير (٩٣) .

---

٩١ — كمال الصليبي ، المرجع السابق ، ص ٧٩ .

— سميليا نسكايا ، المرجع السابق ، ص ١١٩ .

٩٢ — سميليا نسكايا ، المرجع السابق ، ص ١٠٧ .

٩٣ — البرت حوراني ، الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨ — ١٩٣٩ ، دار النهار للنشر ، ١٩٦٨ ، ص ٥٠ .

ب ـ الاسباب الخارجية للفتن :

ـ ان الوثائــق الرسمية الرسمية المتوفــرة في سجلات وزارتي الخارجية في لندن وباريس تثبت بما لا يرقى اليـه الشك ان الفتنة في لبنان لم تكن مجرد حادث محلي (٩٤) . فقد جاء في تقرير للسفير البريطاني في اسطنبول الى وزارة الخارجية البريطانية : « ... ومن جهة اخرى هنــاك اناس لا يقلون عن هؤلاء تطرفا في اتهامهم الأتراك ، يقولون ان هذه الاحداث ليست سوى مؤامرة هدفهـا القضاء علـى الطائفة المارونية على أيدي الدروز ، ثم القضاء على الدروز انفسهم قصاصا لهم عما فعلوه بالموارنة ، وفي آخر الامر يفلح الاتراك في تثبيت سيادتهم » (٩٥) .

ـ كان القناصل جميعا يزكون نار التفرقة ويغذون الانقسام ويرشون الانصار . وكان الموارنة حصــة فرنسا ، والدروز حصة بريطانيا ، والروم الارثوذكس نصيب روسيا ، والروم الكاثوليك يتأرجحون بين فرنسا والنمسا وسردينيا (٩٦) . وقد كان طموح السياسة العثمانية الى فرض الرقابة المباشرة على جبل لبنان من أسباب ركون الطوائف الى القنصليات الاجنبية .

ـ كان ثمـة دوافــع اقتصاديــة (حرير ، رساميل ، مواصلات) (٩٧) ، وثقافية (مدارس وارساليات) ، ودينية

---

٩٤ ـ زين زين ، الصراع الدولي في الشرق الاوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان ، دار النهار للنشر ، ١٩٧١ ، ص ٣١ .

٩٥ ـ المرجع نفسه ، ص ١٩٣ .

٩٦ ـ عادل اسماعيل واميل خوري ، السياسة الدوليـة في الشرق العربي ، دار النشر للسياسة والتاريخ ، ١٩٦١ ، ج ٣ ، ص ٣٠ .

٩٧ ـ مارسيل أيمريت ، الازمة السورية والتوسع الاقتصادي الفرنسي ١٨٦٠ ، مجلة « دراسات عربية » العدد ٥ ، ١٩٧٢ ، ص ١٨ و١٩ .

(زعامة الكاثوليك وتحسين موقف نابوليون الثالث ازاء البابا بعد تأييد فرنسا للوحدة الايطالية) ، وخاصة سياسية (مسألة قناة السويس وتقاعس السلطان عن اصدار فرمان البدء بحفرها تحت وطأة ضغط المعارضة الانجليزية ، وامكانية السيطرة على سوريا) (٩٨) . كل هــذه الدوافــع وغيرهــا كانت تحرك الفرنسيين لاستغلال صداقة الموارنة لهم . كما ان الانجليـز في المقابل ، كان لهم دوافع مضادة تحملهم على استغلال صداقة الدروز لهم لمواجهة المخططات الفرنسية .

— كان الوفــاق الذي تم التوصل اليه بــين الفرنسيين والانجليز ، حول لبنان والمسألة السورية ، قد اختل ، واخذت الدعاية الانجليزية تتصاعد ضد الفرنسيين . وزاد التــأزم بين الدولتين ، في تلك الفتــرة ، مشكلة « تاهيتي » ، وقضيــة بريتشارد (L'affaire Pritchard) التــي احدثت هيجانا في الراي العام الفرنسي ، الامر الذي حدا بالحكومة الى اعتزام التدخل العسكري في سوريا اذا لم يتراجع الانجليز عن مواقفهم (٩٩) .

— قال القنصل الفرنسي ادموند دي ليسبيس عــام ١٨٥٩ متحدثا عن خلفه في منصب القنصلية بونتيفوليو : « بعد ستة

---

٩٨ — بيير رنوفان ، تاريخ العلاقات الدولية ، ترجمة جلال يحيى ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨ ، ص ٣٨٥ — ٣٨٦ .

— مارسيل ايميريت ، المرجع السابق ، ص ٨ و ٩ .

٩٩ — Jacques Pirenne, Les grands courants de l'histoire universelle, Editions Albin Michel, 1953, V. 5, P. 52.

اشهر سيغرق لبنان في النار والدماء وسيكون بونتيفوليو من المساعدين على هذا » (١٠٠) .

ـــ اشار كارل ماركس ، في مقال له في جريدة نيويورك ديلي تريبيون ، الى ان العملاء الفرنسيين بالذات هم الذين نظموا المعركة السياسية الدينية على الساحل السوري (١٠١) .

ـــ ومن المتفق عليه ان عملاء الانجليز قدموا المساعدة الى الدروز . ولقد شارك الكولونيل تشرشل سرا في وضع خطط الدروز الحربية (وخاصة عملية الاستيلاء على زحلة) (١٠٢) .

خامسا ـــ النظرة اللاعلمية الى الترابط الجدلي بين تخلف الايديولوجيات الطائفية الاسلامية والمسيحية :

يرفض الدكتور كوثراني ان يبحث تصرف الموارنة ـــ او على الاصح اكثريتهم ـــ في اطار رد الفعل على تخلف الايديولوجيا الموجهة للاكثرية الاسلامية ، وخاصة عدم حسم الفصل بين الدين والدولة ، ويتبع منهجية تبريرية تلصق التهم دائما بالاستعمار ، وبالطائفيين الاخرين ، ولا يحاول ان يرى ـــ بالاضافة الى عامل الاستعمار الذي لا نقلل من شأنه ـــ مكامن التخلف والتجزئة الفعلية في البنية الموضوعية للتشكيلات المكونة للمجتمعات العربية .

فموقف الطوائف ـــ في راي الدكتور كوثراني ـــ تمايز بعد

---

١٠٠ ـــ سميليا نسكايا ، المرجع السابق ص ٢٣٤ ، نقلا عن
P. Rochemonteix, le Liban et l'expédition, P. 36.

١٠١ ـــ سميليا نسكايا ، المرجع السابق ، ص ٢٣٣ .

١٠٢ ـــ المرجع نفسه ، ص ٢٣٥ .

التغلغل الراسمالي (١٠٣) . ولكن ، اليس صحيحا ايضا ان هذه الطوائف كانت متمايزة ايضا قبل نشوء الراسمالية ، وذلك في اطار مفهوم أهل الملة واهل الذمة ؟

والعصبية المارونية — في راي المؤلف — هي وليدة الامبريالية والثقافة الغربية (١٠٤) . والكيان اللبناني تحكمت في عزلته ردحا من الزمن تركيبة اجتماعية — طائفية ، تغذت بثقافة « عنصرية » معادية للعروبة والاسلام ، ومرتكزة الى النشاط الارسالي والاستشراق الكولونيالي (١٠٥) .

فمن جهة ، وقبل مجيء الامبريالية والثقافة الغربية ، كانت المنطقة تعيش واقعا مستمرا من الصراعات والعصبيات القبلية — الطائفية .

ومن جهة أخرى ، هذه الصراعات لم تكن فقط بين الطوائف المسيحية ، بل بين الطوائف الاسلامية نفسها (اضطهاد السنة للشيعة والدروز والاسماعيليين ...) ، واضطهاد البيزنطيين للموارنة الامر الذي يتجاهله المؤلف عندما يجزم بأن نزوح الموارنة من وادي العاصي الى لبنان كان لاسباب اقتصادية (١٠٦) ، ومضايقات الروم الاورثوذكس للروم الكاثوليك الخ ...

---

١٠٣ — وجيه كوثراني ، المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

١٠٤ — المصدر نفسه ، ص ٨٩ .

١٠٥ — المصدر نفسه ، ص ١٢ .

١٠٦ — المصدر نفسه ، ص ٣٤ . مع العلم ان المؤلف يرفض التفسير الاقتصادي للتاريخ في مقالته : بعض خصائص الكتابة التاريخية عند العرب ، مجلة « الفكر العربي » ، معهد الانماء العربي — بيروت ، عدد ٢ ، تموز آب ١٩٧٨ ، ص ٦٧ .

ان التغلغل الرأسمالي لم يخلق التمايز الطائفي انما عززه وقواه واستغله . ولما كان المسيحيون اقلية في هـذه المنطقة استغل الاستعمار واقعهم ، وتوسل بعضهم كاداة لتحقيق مطامحه في السيطرة والالحاق .

ازاء هذا الوضع ماذا كان ، في منطقتنا العربيـة ، موقف الانتلجنتسيا المسيحية ؟ ومـاذا كـان موقف الانتلجنتسيا الاسلامية ؟

ان الجواب على هذا السؤال يتطلب هو الاخر بحثا مفصلا في سوسيولوجيا الفكر لسياسي لا قدرة لنا الان على التصدي له ، لكن حسبنا الملاحظات التالية :

أ ــ في موازاة بعض رجال الاكليروس المسيحيين وبعض المثقفين المسيحيين الملحقين بالمخططات الاجنبية ، كان هناك مجموعة من الانتلجنتسيا المسيحية العربية التي طرحت الفكرة العربية ، ببعدها العلماني ، كحل ينقل المنطقة من واقع الدولة الدينية العثمانية الى واقع قومي جديد يستطيع فيه المسيحون العرب ان يشاركوا في جسم الدولـة السياسي ضمن افـق الشعارات التي رفعتها الثورة البورجوازية الفرنسية (حرية ، عدالة ، مساواة) . من هذه الانتلجنتسيا : بطرس البستاني ، اديب اسحـق ، فرنسيس المراش ، فـرح انطون ، شبلـي شميل ، يعقوب صروف ، فارس نمر ، خليل سعاده ، خير الله خير الله ، جميل المعلوف ، وغيرهم كثيرون ...

ب ــ على صعيد الانتلجنسيا الاسلامية ، كان هناك تياران:

ــ تيار رفض الفكرة القومية بما هي فصـل الدين عـن الدولة ، وتمسك بالاسلام كاطار يمكن من خلاله اجراء بعض

الاصلاحات لكن ضمن حدود عدم المساس بجوهر الشريعة .
من هؤلاء : الافغاني ، وعبده ، ورشيد رضا ، والقباني ، وارسلان ...

ــ تيار تقبل الفكرة القومية العلمانية ، ولو بحذر ، كمحمود ومحمد المحمصاني ، وعبد الغني العريسي ، وعبد الرحمن الشهبندر ، والى حد ما الكواكبي ...

ج ــ خضعت المنطقة للسيطرة الاستعمارية ، واخذ المشروع الصهيوني يبرز الى حيز التطبيق . وفي مرحلة ما بعد الحرب العالمية الاولى قامت عدة تيارات منها :

(البنا ، وعودة ، والعطار ...) ، وبمحمد شلتوت فتصدى لطرح مسالة السلطة في الاسلام ، وحسم بالفصل بين الدين والدولة ، ومن رواده : علي عبد الرزاق (صاحب « الاسلام واصول الحكم ») واخوه مصطفى ، وطه حسين ، واحمد لطفي السيد ، وحسين فهمي ، وخاصة الشيخ خالدمحمد خالد (صاحب كتاب « من هنا نبدأ ») .

ــ وفي موازاته نما تيار متزمت تمثل بالاخوان المسلمين (البنا ، وعودة ، والعطار ...) ، وبمحمود شلتوت ومحمد البهي وغيرهما ، ربط بشكل مطلق بين الدين والدولة في الاسلام .

وعلى صعيد آخر كان هنالك :
ــ تيار يدعو الى القومية العلمانية لكن في اطار سوريا الطبيعية .

ــ تيار يدعو الى القومية العلمانية لكن في اطار سوريا الطبيعية .

وعلى الرغم من محاولات ساطع الحصري الريادية في طرح عروبة منفصلة عن الاسلام ، ومن محاولات غيره كالدكتور قسطنطين زريق وبعض القوميين العرب الاخرين ، وعلى الرغم من وجود تيار اسلامي علماني معاصر تزداد قوته مع الوقت ، فان المسألة التي لا تزال حتى الان تشكل مفصل الصراع في لبنان وعلى امتداد المنطقة العربية ، وربما العالم الاسلامي ، تنطلق من الاسئلة التالية :

ــ هل المشروع السياسي للعروبة يستفيد من الاسلام كتراث عظيم وتجربة غنية فحسب ، ام انه يسعى ــ عبرها ــ الى اعادة احياء الشريعة الاسلامية وينظم المجتمعات العربية على اساسها ؟

ــ هل الرد على التحدي الصهيوني هو باحياء لون من الوان الايديولوجية التعصبية الاسلامية التي تسعى الى قيام الدولة الدينية الاسلامية ؟

ــ وفي هذه الحال ما هو الفرق بينها وبين الايديولوجية التعصبية المسيحية ، بما فيها الايديولوجية المارونية الساعية الى انشاء وطن قومي لها على انقاض وحدة الشعب اللبناني ؟

ــ اليس هذا ما يخطط له الاستعمار ويشجعه لابقاء منطقتنا مجزأة ومتناحرة وضعيفة ومتخلفة ، وذلك بهدف استمرار سيطرته عليها واستنزاف ثرواتها الهائلة ؟

* * *

ان الايديولوجية الطائفية في كتابة التاريخ واضح ردها على هذه الاسئلة :

فالاب ضو ينطلق ، في كتابته التاريخية ، من ايجاد الخلفية التاريخية لفكرة الوطن القومي الماروني !

والدكتور كوثراني ـ بالرغم من اختبائه وراء مصطلحات « تقدمية » ـ يخدم ، في قاعه الفكري التاريخي ، الايديولوجية الاسلامية المعادية للعلمانية والساعية الى اقامة الدولة الاسلامية العربية !

وعلى كل حال ، الصراع مفتوح مع دعاة هذا الفكر ، القابع في كهوف القرون الوسطى. ولئن بدا ، مؤقتا، ان هذا الفكر هو الاشد ساعدا والاوسع استقطابا ، فلا شك انه سيضطر الى التراجع ، لان التاريخ لا يرجع الى الوراء ، ولان ثمة ارادات متسلحة بالعقل والعلم والنظرة الوطنية والانسانية مصممة على المواجهة . وشعوبنا لا بد ستنهض من مستنقع التفكك والتخلف لتساهم ، من جديد ، في مسار الحضارة الانسانية المتجددة .



المصادر والمراجع

ا ــ باللغة العربية :

١ ــ ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، دار التراث ، بيروت ١٩٦٨ .

٢ ــ ابن يحيى صالح ، تاريخ بيروت ، تحقيق كمـال الصليبي وفرنسيس هورس ، بيروت ١٩٦٩ .

٣ ــ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ١٣٣٠ ــ ١٣٣٢ هـ .

٤ ــ ابن فضل الله العمري ، التعريف بالمصطلح الشريف، القاهرة ٣١٢ هـ .

٥ ــ ابو اسماعيل سليم ، الدروز : وجودهم ومـذهبهم وتوطنهم ، مطابع فضول .

٦ ــ ابو شقرا حسين ويوسف خطار وعارف ، الحركات في لبنان الى عهد المتصرفية ، بيروت ١٩٥٢ .

٧ ـ اسماعيل عادل وخوري اميل ، السياسة الدولية في الشرق العربي ، دار النشر للسياسة والتاريخ ، ٥ اجزاء ، ١٩٦١ .

٨ ـ ايمريت مارسيل ، الازمة السورية والتوسع الاقتصادي الفرنسي ١٨٦٠ ، مجلة « دراسات عربية »، العدد ٥ ، ١٩٧٢ .

٩ ـ البستاني ملحم ابراهيم ، كوثر النفوس وسفر الخالدين ، مطبعة المرسلين اللبنانيين ، ١٩٥٤ .

١٠ ـ البشعلاني اسطفان ، تاريخ بشعلي وصليما ، مطبعة فاضل والجميل ـ الدورة ، ١٩٤٨ .

١١ ـ البلاذري ، فتوح البلدان ، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٥٩ .

١٢ ـ بولس جواد ، تاريخ لبنان ، دار النهار للنشر .

١٣ ـ الباشا قسطنطين (الاب) ، تاريخ اسرة فرعون ، مطبعة القديس بولس ، ١٩٣٢ .

١٤ ـ تاريخ الحضارات العام ، باشراف موريس كروزيه، ترجمة يوسف وفريد داغر ، ١٩٦٥ .

١٥ ـ جامعة آل عطالله ، بيروت ١٩٦٥ .

١٦ ـ حبيش خليل ، آل حبيش في التاريخ ، ١٩٧٨ .

١٧ ـ حتي فيليب ، لبنـــان في التاريخ ، دار الثقافـــة ، ١٩٥٩ .

١٨ ـ الحتوني منصور (الخوري) ، نبذة تاريخيـــة في المقاطعة الكسروانية ، ١٨٨٤ .

١٩ ـ حركة الوعي ـ جبهة الشباب اللبناني ، وثـــائق المؤتمر العام السابع ، ١٩٧٧ .

٢٠ ـ حوراني ألبرت ، الفكر العربي في عصر النهضـــة ١٧٩٨ ـ ١٩٣٩ ، دار النهار للنشر ، ١٩٦٨ .

٢١ ـ خليفة عصام ، مقدمات اولية حول مقولة التعددية الحضارية ، سلسلة « لبنان الديمقراطي العربي العلماني » ، كراس (٢) ، منشورات « الديمقراطيـــون العلمانيـــون » ، ١٩٧٩ .

٢٢ ـ خوري اميل واسماعيل عادل ، السياسة الدولية في الشرق العربي ، دار النشر للسياسة والتاريخ ، ١٩٦١ .

٢٣ ـ الخوري شاكر ، مجمع المسرات ، بيروت ١٩٠٩ .

٢٤ ـ خوري وجيه ، القضاء في لبنان في عهـــد الحكـــم الاقطاعي ، مجلـــة « المشرق » ، مجلد ٣١ ، العـــدد الثاني (شباط) ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٣٣ .

٢٥ ـ خازن سمعان ، يوسف بك كرم في المنفى ، مطبعة الانشاء ، ١٩٥٠ .

٢٦ ــ الخازن فيليب ، لمحة تاريخية في استمرار استقلال لبنان التشريعي والقضائي منذ الفتح العثماني ١٥١٦ ، مطبعة الاخبار ، مصر ١٩١٠ .

٢٧ ــ الخازن وهيبة ومسعد بولس (الاب) ، الاصول التاريخية ، مطبعة عشقوت .

٢٨ ــ الدبس يوسف (المطران) ، الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل ، دار لحد خاطر ، ١٩٧٨ .

٢٩ ــ دريان يوسف (المطران) ، البراهين الجلية .

٣٠ ــ دريان يوسف (المطران) ، نبذة تاريخية في اصل الطائفة المارونية ، مطبعة يوسف صادر ، ١٩١٩ .

٣١ ــ دي طرازي فيليب (الفيكنت) ، اصدق ما كان في تاريخ لبنان وصفحة من اخبار السريان ، مطابع الصيقلي ، ١٩٤٨ ، جزءان .

٣٢ ــ الدويهي اسطفان (البطريرك) ، تاريخ الازمنة ، نشر فردينان توتل ، بيروت ١٩٥١ .

٣٣ ــ الدويهي اسطفان (البطريرك) ، تاريخ الطائفة المارونية ، بيروت ١٨٩٠ .

٣٤ ــ داغر يوسف التنوري (الخورسقف) ، لبنان : لمحات في تاريخه وآثاره وأسره ، مطبعة المرسلين اللبنانيين ، ١٩٣٨ .

٣٥ ــ رباط ادمون ، الوسيط في القانون الدستوري اللبناني ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٠ .

٣٦ ــ رستم اسد ، بشير بين السلطان والعزيز ١٨٠٤ ــ ١٨٤١ ، منشورات الجامعة اللبنانية ، ١٩٦٦ .

٣٧ ــ رنسيمن ستيفن ، تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة الباز العريني ، دار الثقافة ، ١٩٦٧ .

٣٨ ــ رنوفان بير ، تاريخ العلاقات الدولية ، ترجمة جلال يحيى ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨ .

٣٩ ــ زين نور الدين زين ، الصراع الدولي في الشرق الاوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان ، دار النهار للنشر ، ١٩٧١ .

٤٠ ــ سعيد أمين ، الثورة العربية الكبرى ، مطبعة عيسى البابي .

٤١ ــ سميليا نسكايا أ. ، الحركات الفلاحية في لبنان ، دار الفارابي ودار الجماهير ، بيروت ١٩٧٢ .

٤٢ ــ السودا يوسف ، في سبيل لبنان ، الاسكندرية ١٩١٧ .

٤٣ ــ سالم اغوسطين القرطباوي السخني اللبناني ، تاريخ كشف النقاب عن قرطبا والانساب ، مطبعة اميل دكاش، ١٩٦٣ .

٤٤ ــ شبلي ميشال ، التشريع والقضاء في عهد الامراء ، مجلة « المشرق » ، مجلد ٤٦ ، الجزء الثالث (ايار حزيران)، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٥٢ .

٤٥ ــ الشدياق طنوس ، اخبار الاعيان في جبل لبنان ، مطابع سميا ، ١٩٥٤ .

٤٦ ــ شراره وضاح ، في اصول لبنان الطائفي : خط اليمين الجماهيري ، دار الطليعة ، ١٩٧٥ .

٤٧ ــ الشماس يوسف (الاب) ، خلاصة تاريخ الكنيسة الملكية ، المطبعة المخلصية .

٤٨ ــ شيخو لويس (الاب) ، الآداب العربية في القرن التاسع عشر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٢٤ .

٤٩ ــ الصليبي كمال ، تاريخ لبنان الحديث ، دار النهار للنشر ، ١٩٦٧ .

٥٠ ــ الصليبي كمال ، مقال في ملحق العمل ، العدد ٧١٨٦ ، ٢٨ آب ١٩٦٩ .

٥١ ــ الصليبي كمال ، منطلق تاريخ لبنان ، منشورات كارافان ١٩٧٩ ، توزيع مكتبة راس بيروت .

٥٢ ــ صايغ انيس ، الهاشميون والثورة العربية الكبرى ، دار الطليعة ١٩٦٦ .

٥٣ ــ ضو بطرس ، تاريخ الموارنة الديني والسياسي والحضاري ، ٥ اجزاء :

ــ الجزء الاول ، من مار مارون الى مار يوحنا مارون ٣٢٥ ــ ٧٠٠ م ، دار النهار للنشر ١٩٧٠ .

ــ الجزء الثاني ، الكنائس المارونية القديمة في سوريا من مار مارون الى القرن السابع ، دار النهار للنشر ، ١٩٧٢ .

ــ الجزء الثالث ، الوجه العسكري الماروني من ٦٣٦ الى ١٣٦٧ م. ، او عهد المردة والاستقلال الماروني التام ، مطابع السقيم ، ١٩٧٦ .

ــ الجزء الرابع ، الوجه العسكري الماروني من ١٣٦٧ الى ١٨٤٠ ، المطبعة البولسية ــ جونيه ، ١٩٧٧ .

ــ ــ الجزء الخامس الوجه العسكري الماروني ، دور المراة في الكفاح الماروني عبر الاجيال ، ١٩٧٩ .

٥٤ ــ ضو بطرس ، موارنة الغد على ضوء تاريخهم : محاضرة بمناسبة عيد مار مارون القيت في بعبـدا بتاريخ ٨ شباط ١٩٧٧ .

٥ ــ ضاهر مسعود ، الطائفية والمنهج في دراسة تاريخ لبنان الحديث والمعاصر ، مجلة « الفكر العربي » ، معهد الانماء العربي ــ بيروت ، عدد ٢ ، تموز آب ١٩٨٧ .

٥٦ ــ العرقية ازاء العلم ، الاونسكو ، دار الثقافة .

٥٧ ــ عماد يوسف ، الجامعة القرقمازية وتاريخها ، ١٩٧٣ .

٥٨ ــ عاشور سعيد عبد الفتاح ، الحركة الصليبية ، ١٩٦٣ .

٥٩ ــ غبرئيل ميخائيل عبدالله الشبابي (الخوري) ، تاريخ الكنيسة السريانية المارونية ، المطبعة اللبنانية، ١٩٠٠ .

٦٠ ــ غانم يوسف خطار ، برنامج اخوية القديس مارون ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٠٣ .

٦١ ــ قرا لي بولس (الاب) ، فخر الدين الثاني امير لبنان ، مطبعة القديس بولس ، حريصا ١٩٣٨ ، ٣ اجزاء .

٦٢ ــ قلعجي تدري ، جيل الفداء ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧ .

٦٣ ــ القلقشندي ، صبح الاعشى في كتابة الانشا ، القاهرة ١٩١٤ .

٦٤ ــ كرم مارون (الاب) ، قصة الملكية في الرهبانية المارونية اللبنانية ، دار الطباعة اللبنانية ، ١٩٧٢ .

٦٥ ــ كوثراني وجيه ، الاتجاهات السياسية ــ الاجتماعية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠ ــ ١٩٢٠ ، معهد الانماء العربي ، بيروت ١٩٧٦ .

٦٦ ــ كوثراني وجيه ، بعض خصائص الكتابة التاريخية عند العرب ، مجلة « الفكر العربي » ، معهد الانماء العربي ــ بيروت ، عدد ٢ ، تموز آب ١٩٧٨ .

٦٧ ــ لامنس هنري (الاب) ، استقلال لبنان الذاتي في اربعين سنة ، مجلة « الاونيفر » ، ١٢ ايار ١٩٠٢ .

٦٨ ــ لوتسكي فلاديمير ، تاريخ الاقطار العربية الحديث، ترجمة عفيفة البستاني ، دار التقدم ــ موسكو ، ١٩٧١ .

٦٩ ــ المجمع اللبناني ، ترجمة المطران يوسف نجم ، مطبعة الارز ــ جونية ، ١٩٠٠ .

٧٠ ــ المحررات السياسية ، تعريب فيليب وفريد الخازن، مطبعة الصبر ــ جونية ، ١٩١١ .

٧١ ــ مسعد بولس (الاب) والخازن وهيبة ، الاصول التاريخية ، مطبعة عشقوت .

٧٢ ــ مسعد بولس (البطريرك) ، الدر المنظوم ردا على الاسئلة والاجوبة المضاة باسم السيد البطريرك مكسيموس مظلوم ، مطبعة سيدة طاميش ، ١٨٦٣ .

٧٣ ــ المعلوف اسكندر عيسى ، الامير فخر الدين المعني الثاني ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٦٦ .

٧٤ ــ المعلوف اسكندر عيسى ، لبنان : مباحث علمية واجتماعية ، منشورات الجامعة اللبنانية ، ١٩٦٩ .

٧٥ ــ مكي محمد علي ، لبنان من الفتح العربي الى الفتح العثماني ٦٣٥ ــ ١٥١٦ ، دار النهار للنشر ، ١٩٧٧ .

٧٦ ــ الملكي نعمة الله البعبداتي (الخوري) ، تاريخ بعبدات واسرها ، مطابع نصار ، ١٩٤٧ .

٧٧ ــ ميسلن ، رحلة المونسنيور ميسلن ، ترجمة اغناطيوس طنوس الخوري ، هدية مجلة « السنابل » ، الاعداد ٨ و ٩ و ١٠ ، آب ايلول تشرين الاول ١٩٦٠ .

٧٨ ــ نصار ناصيف ، طريق الاستقلال الفلسفي ، دار الطليعة ، ١٩٧٥ .

٧٩ ــ نصار ناصيف ، مقالة في النظرة الايديولوجية الى التاريخ ، مجلة « الباحث » ــ باريس ، العدد ٧ ، تموز آب ١٩٧٩ .

٨٠ ــ نعمان بولس (الاب) ، المارونية بين الدين والدولة ، الكسليك ١٩٧٠ .

٨١ ــ الوثائق المجمعية ، الترجمة العربية .

٨٢ ــ الهاشم لويس (المونسنيور) ، تاريخ العاقورا ، مطبعة العلم ، ١٩٧٣ .

ب ـ باللغة الاجنبية :

1 — Chabot J.B., Michel le Syrien, Chronique de Michel le Syrien, 4 tomes, Paris 1901.

2 — Chevallier Dominique, la Société du Mont-Liban à l'époque de la Révolution industrielle en Europe, Geuthner, Paris, 1971.

3 — Cresswell R., Parenté et propriété foncière dans la montagne libanaise (Etudes Rurales), 1970.

4 — Grimberg Carl, Histoire universelle, Editions Gérard.

5 — Jouplain (Pseudonyme de Paul Noujaim), la Question du Liban, Paris, 1908.

6 — Kattar Elias, Recherches sur la société de la montagne libanaise à l'époque des Ma-

melouks, thèse pour le doctorat de 3ème cycle, Paris 1977.

7 — Lammens H., La Syrie, impremerie Catholique.

8 — Ministère des Affaires étrangères français: Archives Diplomatiques : Levant - E , Syrie Liban Cilicie, Dossier général, V.1 et V.7 et V.8 et V.9 et V.10 et V.11 et V.13 et V.44et V.69 .

9 — Pirenne Jacques, les grands courants de l'histoire universelle, Editions Albin Michel, Paris, 1950.

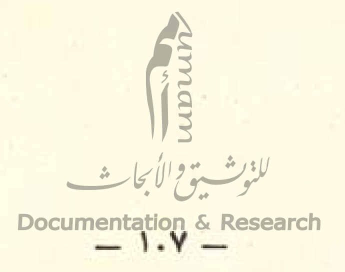
10 — Rabbath Edmond, La Formation historique du Liban politique et constitutionnel, Beyrouth 1973.

11 — Rochemonteix P., Le Liban et l'expédition.

12 — Sicking Thom, Religion et developpement, Etude Comparative d'un village Maronite et d'un village musulman-Chiite au Liban, thèse pour le doctorat en sociologie, Paris V, 1977.

13 — Touma Toufic, Paysans et institutions féodales chez les Druzes et les Maronites du Liban du XVIIIe siècle à 1914, Publications de l'Université Libanaise, Librairie Orientale, Beyrouth 1971-1972.

14 — Volney, Voyage en Egypte et en Syrie, Paris 1789.



الفهـــرس

في اطار سلسلة الندوات والدراسات التـــي ينظمهـــا ويعدها « الديمقراطيون العلمانيون » ، هذه دراسة حـــول « الايديولوجية الطائفية والنظرة الى التاريخ اللبنانـــي » ، أعدها عصام خليفة ، رئيس المجلس الوطني في حركة الوعي ـ جبهة الشباب اللبناني ، والقاها كمحاضرة بتاريـــخ ١١ نيسان ١٩٧٩ .



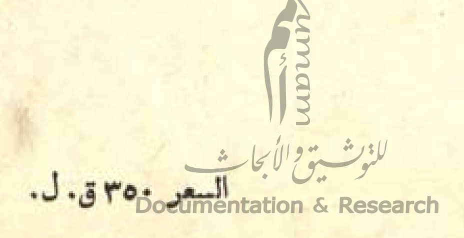



umam
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

ان الصراع مفتوح مع دعاة الفكر الطائفي ، القابع في كهوف القرون الوسطى . ولئن بدا ، مؤقتا ، ان هذا الفكر هو الاشد ساعدا والاوسع استقطابا ، فلا شك انه سيضطر الى التراجع ، لان التاريخ لا يرجع الى الوراء ، ولان ثمة ارادات متسلحة بالعقل والعلم والنظرة الوطنية والانسانية مصممة على المواجهة . وشعوبنا لا بد ستنهض من مستنقع التفكك والتخلف لتساهم ، من جديد ، في مسار الحضارة الانسانية المتجددة .

ان المرحلة الراهنة تتطلب قيام جهد تاريخي جماعي منظم ومدروس يسعى الى اعادة النظر في تاريخ لبنان وبيئته العربية . ولعل قيام الجمعية التاريخية اللبنانية ، التي يمكن ان تضم مؤرخين من مختلف المواقع الفكرية والسياسية ويجمعهم الالتزام بالعلم والتصدي للايديولوجية الطائفية ، هو خير سبيل لوصول الى هذا الهدف .

عصام خليفة



السعر ٣٥٠ ق.ل.